حاقد آخر على الإسلام

الدكتور سامي عصاصة

كل الحقوق بجميع صورها محفوظة للمؤلف ولا يجوز تخزين مضمونه أو التصرف به
بدون موافقة خطية من المؤلف.

يطلب الكتاب من المؤلف مباشرة من خلال العناوين التالية:
العنوان البريدي: ص.ب. : ٤٢٤٠ دمشق – سورية
أو العنوان في ألمانيا:

Dr. Sami Assassa
POB 1435
82031 Grünwald
Germany

رقم الفاكس مع كامل الرموز:

Fax: 00 49 – 89 - 6415468

للاتصال بواسطة الانترنت يرجى إرسال الرسالة إلى العناوين التالية معاً لضمان
وصولها: (إرسال إلى عنوان واحد أو إلى أربعة يكلف ذات الكلفة)

assassa@scs-net.org
sassassa @onebox.com
sami-sas@maktoob.com

تكرم بإهداء تصميم الغلاف الفنان التشكيلي الأخ عبد الجبار ويس

الطبعة الأولى بيروت عام: ٢٠٠٤

شكر وعرفان

مهما اجتهد باحث في الوصول بكتابه إلى الكمال أدرك عبثية المحاولة لأن الكمال لله. ولكن اللجوء إلى أصدقاء مفكرين يُسهم في استبعاد الخطأ فيسمو مضمون الكتاب ويُسهّل إيصال الأفكار إلى القارئ الكريم.

من أجل إصدار هذا الكتاب لجأت كالعادة إلى أصدقاء أحبّاء مفكرين. إني مدين للعديد منهم بالشكر أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : د. عبد السلام الراغب، المهندس فهد الرفاعي، الأستاذ هيثم الملوحي، الأستاذ أحمد عمران الزاوي، د. عبد المعطي الدالاتي والدكتور راتب النابلسي. فمع كل منهم جرت حوارات لا تخلو من الشدة، ولكنها بناءة في كل مرحلة من مراحلها. وكان لكل منهم ملاحظات ذات أهمية، استجبت لتلك التي تتفق مع ذاتي ولم أستجب لما يختلف معها لأني لو فعلت لنفيت ذاتي.

وأوجه مجدداً شكراً خاصاً إلى أم خالد التي صبرت على انصرافي ما يزيد عن سنتين في الكتابة والتحضير. ترى هل ستصبر علي ريثما أنهي الكتاب الآخر الذي أنا بصدد إنجازه عن ضرورة سقوط الرأسمالية؟ وأشكر ابنتي رانية التي ساعدتني في البحث عن المراجع وتهيئتها بالرغم من دخولها ميدان الحياة العملية باستلامها لمسؤولية ثقافية في مؤسسة ثقافية عالمية كبرى.

هدفي من الكتاب يتحقق إن قرأه المرء فنشر الأفكار التي يتضمنها. فالكلمة تموت إن لم تُنشر، وتحيا، بل تحرك الجبال إن قُيض لها من ينشرها. إني أشكر كل من يعمل على نشر الكتاب.

المؤلف

رد على

حاقد آخر على الإسلام

ماذا يريد الشيخ خليل عبد الكريم؟

التقديم: أهداف المؤلف

من الكتب الخطيرة التي صدرت حول محمد (ص) كتاب للباحث الأستاذ المحامي خليل عبد الكريم، العضو الرئيس في التجمع التقدمي الوحدوي عنوانه: " **فترة التكوين في حياة الصادق الأمين** " والعنوان يفسر نفسه بشكل تلقائي. فهو يبحث في الظروف التي رافقت، بل أحاطت بالأحداث التي عاشها في مطلع حياته الصادق الأمين أي محمد (ص).

لقد نشر خليل أكثر من كتاب مهَّدَ بها للأفكار الجريئة التي أفصح عنها في كتاب "**فترة التكوين،** " مثل: "**قريش، من القبيلة إلى الدولة المركزية.**" و "**الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية.**" حاول فيها ترسيخ الانطباع لدى القارئ بأن بعض التشريع الإسلامي أو كله مستمد من الحضارات القديمة أو هو من صنع الحكماء والشعراء المفكرين مثل قس بن ساعدة وزهير بن أبي سلمى وأمية بن أبي الصلت قبل الإسلام. وفي كتاب آخر له بعنوان: "**شدو الربابة في مجتمع آل الصحابة**" يأتي بتحليلات وأقاصيص تفكك بنيان سمعتهم وتسيء إلى ذكراهم.

إن الإجابة على كتب خليل عموماً وعلى كتابه: " **فترة التكوين في حياة الصادق الأمين** " بشكل خاص ضرورة دينية وتاريخية وسياسية في وقت واحد. فالإساءة التي تلحقها كتاباته بالأمانة العلمية والمصداقية يؤثر في نهاية المطاف على السلام بين شرائح المجتمع في الوطن الواحد .

يوجد لي على مضمون الكتاب من جهة وحول تسمية " الصادق الأمين " من جهة أخرى ملاحظات عديدة لا أريد التعرض لها في هذا المكان. لقد حاولت الاتصال بالمؤلف

في مصر لأستفسر منه عن مقاصده قبل أن أحكم عليه فلم أنجح. سعيت إليه للاعتراض على بعض أفكار أساسية في كتابه ولأطرح عليه أسئلة حول مصادر معلوماتٍ ذات أهمية أوردها في كتابه لأني لم أجد لها سنداً فيما قرأت من المراجع.

ولذلك اتصلت بالباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد في مكان إقامته في مدينة لايدن متوقعاً أن يكون من معارفه أو أصدقائه. ولقد كان توقعي في مكانه. وعندما سألته إن كان يعرفه أجابني بأنه يعرفه حق المعرفة وعلى اتصال شبه يومي بعائلته بعد أن توفاه الله في أبريل/نيسان من عام (٢٠٠٢). فسألته إن كان اطلع على كتابه " **فترة التكوين....**" فأجاب بالإيجاب. فقلت له بأني كنت أود طرح بعض الأسئلة على الفقيد واستأذنته في أن أوجه عليه بعض الأسئلة ليجيبني عليها حول كتاب الفقيد فتكرم عليّ بالقبول وقال لي إن له أيضاً ملاحظات على محتويات الكتاب.

خلال حديثي مع الدكتور أبو زيد لم أسمع منه أن خليل عبد الكريم كان شيخاً! فقط في الصفحة التي تحوي معلومات عن الكتاب ومكان طبعه وزمانه ورقم الإيداع وما شابه قرأنا: الشيخ خليل عبد الكريم. لقد أثار غياب صفة "شيخ" عن غلاف الكتاب استغرابنا. فقد اعتاد العامة إطلاق لقب "شيخ" على من له علاقة بعلوم الدين تكريماً. بيد أن ذلك لا ينفي معناها الدقيق الدالّ على "الهرم، والتقدم بالعمر" مقترناً بالوقار والمأخوذ من فعل: شاخ أي هرم. لقد طغى مفهوم الوقار على هذا اللقب فأطلقه المسلم كما المسيحي على من يرونه عظيم الشأن ، عليّ القدر.

ولعل المؤلف خليل أطلق على نفسه هذا اللقب لإضفاء الوقار على مضمون كتابه ليخدع به البسطاء.

لقد وجدت أن الباحث خليل لا يختلف من ناحية المبدأ عن الأب يوسف درّة الحداد وأبي موسى الحريري (أسمه الحقيقي: الأب جوزيف قزي) اللذين اعترضت على آرائهما في القرآن والإسلام ومحمد (ص) في كتابيهما: "**القرآن دعوة نصرانية**" و "**قس ونبيّ**" فأجبت عليهما بكتابي: "**القرآن ليس دعوة نصرانية**". وعنوان كتابي ذاك يشير إلى آراء المفكرَيْن التي مفادها أن الإسلام هو النصرانية وأن ورقة بن نوفل هو صاحب القرآن.

وبكتابي المذكور فندت كل هجمةٍ منهما بدقة علمية وكشفت المآخذ على أسلوبهما في تحليل النصوص وتزييفها وبالتالي على غياب المصداقية والموضوعية لديهما.

إن هجوم الحداد والحريري على الإسلام لا ينطلق من الإخوة المسيحيين في الوطن وإنما هو جزء من معركة شرسة تديرها قوى خارجية تريد تحطيم العمود الفقري للوطن بكل فئاته وأديانه. إن التسامح المعروف عن الإسلام والمواطنة الصادقة للمسيحيين في الوطن هما المستهدفان. فخصوم الأمة خارج الحدود لا يهتمون بكسب عملاء بقدر ما يسعون إلى تفتيت الشعوب وخلق العداوات في قلب الوطن الواحد.

لكن هناك فارقان أساسيان يميزان بين موقفي الحداد والحريري من جهة وموقف خليل عبد الكريم من جهة أخرى. فثلاثتهم ينكرون نبوة محمد (ص) ويرجعون الإسلام إلى الديانة النصرانية التي تختلف عن المسيحية[1]. لكن الكاتبين الأولين كمسيحيين يتعرضان للإسلام من خارج الطوق الإسلامي بينما يتنطع هو إلى بحثه الهجوميّ التَهَجُميّ من الداخل، وهذا هو الفارق الأول. إنه يرى أن محمداً (ص) لا يعدو كونه " نبيّاً صُنع صنعاً من قبل بشر." وجهة الخلاف بينه وبين الباحثَيْن المسيحيَّين هو أن الأوَّلَيْن يُرجعان " صناعة النبي " إلى ورقة بن نوفل بينما يُرْجع هو "مؤامرة" التصنيع إلى خديجة (ر) مع الاعتراف بدور لورقة في العملية. لكن خديجة (ر) تبقى المحور الأساسي لعملية التصنيع.

ولكون خليل مسلماً، أي من أهل بيت المسلمين، نجيب على كتاباته. ولا يفوتنا التنويه إلى أنه حاول إضفاء مسحة الولاء للإسلام وللقرآن بكلام ظاهره الاحترام وباطنه حقد دفين. ولذلك فكتاباته لا تقل خطراً عن هجوم الحريري والحداد على الإسلام.

لكن كونه مسلماً لم يكن ليستدعي منّا الإجابة عليه بهذه الدقة والتفصيل. نحن نجيب عليه لأن مفكرين آخرين متأثرين بكتب الحداد والحريري يتسلحون بكتبه ويبرزونها حجة في هجومهم على الإسلام. وفي مقدمة الطبعة الثانية لكتابه يعلمنا خليل عن دور

---

[1] - لا تعترف النصرانية بأن عيسى (ع.س.) هو ابن الله وترفض فكرة التثليث أو الثالوث بينما تتبناها المسيحية. والنصرانية لا تمنع تعدد الزوجات.

نشر أجنبية وضعت كتابه في فهارسها ليزداد انتشارها. واهتمام دور النشر الأجنبية المدعومة من مؤسسات هادفة ليس بالأمر المستغرب. ومثال سلمان رشدي الذي انتشر كتابه في أنحاء العالم لتهجمه على أمور يحترمها المسلمون ما زال ماثلاً في الأذهان.

من أجل إقناعنا بدور خديجة (ر) القيادي في "صنع" النبي أبرز لنا كونها نصرانية أو قريبة جداً منها وقال إنها بعد سماعها عن قادم منتظر قررت وضعه تحت إشرافها. فهو يقول:

"فضلاً عن نفور السيدة خديجة الفطري من الثقافة...الوثنية التي غرقت فيها قريش آنذاك إلى الأذقان غدا من الحتم اللازم أن تحاصر ثقافة النصارى أم هند وتدفعها إلى التفكير فيها والاطلاع عليها وتأملها ومعرفة ثوابتها ومتحركاتها وأفكارها ومبادئها وقصصها وأساطيرها ومن بينها فكرة نبي أطل "... "وقد وافق الفكرة ارتياح سيدة قريش النفسي ورضاءً تاماً لديها أن يصبح القادم المنتظر من العرب.."

ثم يصل خليل إلى هدفه فيكتب:

"ورثت الطاهرة حب العرب ومكة وقريش من أبيها فرحبت واعتنقت فكرة أن يصير القادم من العرب وللعرب فكما أن لليهود نبيهم وللنصارى نبيهم فمن اللازم أن يغدو للعرب واحد مثلهما ويحمل كتاباً." (خليل، فترة التكوين،صفحة ١٥١)

لقد جعل بكلامه خديجة (ر) الأم الروحية لنبي عربي وكلفها بتصنيعه.

من فقرات كتاب خليل الخطيرة قوله بأن خديجة **"غيرت وجه التاريخ في منطقة الحجاز وما حولها ونرجح أن تأثيرها سوف يستمر زمناً ما لم يحدث تثوير** [من ثورة] **في ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومن ثم يترقى الوعي في مجتمعاتها فينعتقوا من أغلال الأسطار** [؟] **الذي خيم على عقول أفرادها منذ قرون طويلة."** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٨٣)

نحن لا نرى أن خديجة غيرت وجه التاريخ وإنما تغيرت هي. لكن عبرةً ما تكمن في مقصده من هذه الفقرة! فماذا أراد منها يا ترى؟

أما الفارق الأساسي الثاني فنتعرف عليه من خلال قفزة نقوم بها إلى الصفحات ٢٩٣ – ٢٩٩ من كتاب خليل ونحللها مبرزين مقصده الرئيسي ثم نعود بعدئذ إلى مطلع كتابه لنناقش بالتدريج كل الأفكار المهمة التي جاءت فيه. فاطلاعنا المبكر على مقصده سيساعد على فهمنا لجميع ما كتب وسيمكننا من كشف أهدافه ومقاصده غير السليمة. فعلى الصفحات المذكورة يتشبث خليل بالكلمات الثلاثة الأخيرة من الآية التاسعة والثلاثين من سورة طه التي تقول:

" **ولتصنع على عيني** " ويثبت لنا بقرائن لا لزوم لها أن التاء في كلمة "لتصنع" مضمومة وليست بالفتح. إنه يثبت واقعاً لا خلاف عليه! فنسخ القرآن حيث نقرأ: "**ولتصنع**" بالضم تملأ مكتبات العالم أجمع. إنه يفتعل مشكلة ليستنتج منها أن الله سبحانه وتعالى خاطب موسى وأخبره بأن بعض الناس من البشر سيتولون تعليمه وتغذيته بالثمار الفكرية العقائدية التي ستسمح له بالانطلاق ليصبح نبي بني إسرائيل. فالآية تصبح على رأي خليل:

" وسوف يتم تصنيعك نبياً تحت إشرافي ومشاهدتي."

ونقرأ استنتاج خليل بكلامه الحرفي:

"**فهناك إذن من يصنع ولكن عين الرب ناظرة إلى تصنيعه للقادم المأمول وهي تلاحظه وترقبه وترعاه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩٣)

أما البشر الذين "صنعوا" موسى فيحددهم لنا خليل: " **آل فرعون قد ربوا موسى أحسن تربية وأجادوا القيام بشئونه كلها واعتنوا به على أكمل صورة بيد أن ذلك كله تم تحت رقابة رب موسى وتوجيهه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩٤)

ويشرح خليل أسلوب آل فرعون في تثقيف موسى فيقول:

" **بعد قذف موسى في التابوت ثم في اليم يأخذه آل فرعون. وفي القصر الملكي ينشأ موسى ويشب ويترعرع وينهل من حكمة كهان مصر القديمة ويتضلع من علومهم وهذه هي الصناعة وهذا هو السر"...."هذا التصنيع هو الذي أهل موسى لكي ينشئ الديانة الموسوية التي تدين بالكثير الذي لا يحصره أو يعده أو يحصيه إلا الله إلى مصر القديمة صاحبة أعظم حضارة عرفها التاريخ حتى الآن وصاحبة الفضل العميم على**

البشرية جمعاء في العديد من الحكمة والفلسفة والآداب والعلوم والهندسة والطب والفلك." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩٢)

نفهم من ذلك إذن أن فراعنة مصر وكهنتها هم الذين صنعوا النبي موسى. ولذلك فهم آباءُ الديانةِ اليهوديةِ الروحيون على رأي خليل. ولكنه لا يقف عند هذا الحد وإنما يتابع إيصالنا إلى هدف محدد إذ يعلمنا بأن تصنيعاً مماثلاً تم تطبيقه على محمد (ص) ويشير إلى أن القائمين على التصنيع يجب أن يكونوا من ذات بيئته ليُعرّفوه على الأجواء السائدة في تلك البيئه. فهو يقول بأن هذه المعارف وهذا العلم " **لا يتأتى له إلا إذا جاء صانعوه من قلب البيئة ومن باطن المجتمع ومن داخل الوسط وهو ما لا يتحقق إلا في بشر مثله.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩٦) ثم ينتقل خليل من موسى إلى محمد (ص) فيحدد لنا هوية الأشخاص الذين "**صنّعوه**. فيكتب:

" **وهي ذات الخطوات التي حققتها الهندوز** [خديجة (ر)] [٢] **في التجربة مع المخبت**[٣] [محمد (ص)] **بإشراف اليعسوب** [ورقة] ...**إن الذي حدث لموسى في البيت الكبير – برعو – قصر فرعون على يد الكهنة والمعلمين والأساتذة والحكماء تكرر مع المجيب** [محمد (ص)] **على يد الطاهرة والقس وهما مكلوءتان برعاية الرب وتحت بصره وبتوفيقه.**"

يرى خليل أن أي نبي لا يصل إلى النبوة إلا من خلال بشر يعلّمونه مبادئ الفكر للدين الذي سيدعو إليه ويتمسك برأيه حجة لا رادَّ لها. ونحن نتمسك مبدئياً بقناعته بحرفيتها لنسأله:

ما معنى أن التدريب يتم تحت رقابة رب موسى؟

وكيف يتم التدريب تحت رقابة رب موسى وتوجيهه؟ وإذا كان الأمر كذلك فبأية واسطة وصل التوجيه والرقابة من رب موسى إلى الوسيط البشري؟ إن كان ذلك تم عن طريق الوحي فلا حاجة لبشر أن "يُصنِّعوا" أي نبي طالما الرب قادر على الإيحاء مباشرة

---

[٢] – نشير إلى أن الكلام الذي نحشره بين الأقواس: [ ] ضمن الاقتباسات هو منا نحن.

[٣] – كلمة "مخبت" من : أخبتوا إلى ربهم = أنابوا إليه

إلى من يختاره للنبوة. هنا نجد العقدة الأساسية والحلقة المهمة، العويصة، الغامضة التي لم يستطع العقل البشري كشفها ولا إدراكها.

وليكتمل كشف مخطط خليل في كتابه نأتي بفقرة كتبها يريد من خلالها أن يثبت بأن عيسى (ع.س) تعرض لتصنيع مشابه. فهو يكتب:

"**أما عيسى بن مريم فالذي تطوع بصنفرته وقلوظته وتلميعه هم :**

زكريا وابنه يحيى أو يوحنا ...وأمه الصديقة التي قضت شطراً من حياتها الأولى في بيت المقدس وزوج أمه يوسف النجار الذي حصل قدراً لا بأس به من العلوم الدينية. وعندما جاء المسيح إلى مصر هرباً من بطش الطاغية الروماني مكث فيها حتى بلغ الثالثة عشرة فاتصل بالكهنة المصريين واغترف من علومهم الكثير ومنها الطب (إبراء الأكمه والأبرص) والسحر (إحياء الموتى) ..." (٢٩٧)

وبذلك أصبحت مراحل وأصول الديانات التوحيدية الثلاثة المتعارف عليها واضحة بالنسبة إليه. فديانة موسى اليهودية مصدرها الكهنة في قصر فرعون. وعيسى تعلم معجزاته في شفاء الأمراض المستعصية: الأكمه والأبرص، بل وإحياء الموتى بالسحر، من الكهنة المصريين وهو في الثالثة عشرة من عمره. ومحمد (ص) خضع للتدريب والتعليم لدى خديجة (ر) بإشراف وتوجيه من ورقة بن نوفل النصراني. أما النصرانية فقد جاء بها ورقة من بلاد الشام وفلسطين حيث نشط عيسى (ع.س.)

فلمن الفضل إذن في انتشار جميع هذه الديانات؟ للفراعنة بالطبع!!

إن فضل مصر الحضاري على البشرية أكبر من أن ينتقص من أثره عاقل وأسمى من أن يناله أي شك. ولكن حضارة الفراعنة لم تكن الحضارة الوحيدة ولا أقدم حضارة على وجه الأرض. ولذلك فإن نسبة كل ذلك لكهنة مصر فيه تجاوز وتناقض لا نريد الخوض فيه بالتفصيل وإنما نوجز بعض الملاحظات التي تدور حوله:

لا يوجد أي مرجع يشير من بعيد أو قريب إلى أن موسى تلقى علوماً دينية في قصر فرعون. ولا يُعرف عنه أنه تصرف في حياته اليومية كمؤمن بدين صالح خلال إقامته في قصر فرعون. وهو لم يغادر مصر هارباً من عقوبة الاعدام إلا عندما قتل

مواطناً مصرياً ودفنه في غياب عين العدالة والقانون. فهل يمكن لرجل قتل وهرب أن يكون قد أخذ ديانة عن حكماء مصر؟

أما ادعاء خليل بأن عيسى (ع) تعلم من كهنة مصر الطب والسحر وإحياء الموتى وهو في الثالثة عشرة من عمره فمن الصعب على المرء أن يتعايش معه. فلا مهنة الطب سهلة ولا بلوغ درجة إحياء الموتى بالسحر وشفاء الأكمه والأبرص مما يتأتى لإنسان في الثالثة عشرة من عمره. هذا إن كان لإنسان أن يتعلم إحياء الموتى. وإن كان إحياء الموتى يمكن تعلمه فهل كانت هناك مدرسة أو جامعة تُدرِّس فيها المعجزات؟ أليست المعجزات رمزاً لإنجازٍ فوق طاقة الإنسان؟ ومن هم الأساتذة القادرون على صنع المعجزات الذين يعطون أسرار علمهم للآخرين؟ هذا وإن كان ثمة كهنة يتقنون علم إحياء الموتى فهل من فرعون عاد إلى الحياة؟ ألم تختلط الأفكار والمفردات ومعانيها على الكاتب خليل عبد الكريم؟

هل تعمَّدَ خليل إرجاع الديانات الثلاثة إلى الفراعنة لينفي الإسلام من أجل هدف خبيث؟ هل يسعى إلى بث بذور الفتنة في صفوف شعب مصر؟

ولا يفوتنا أن الديانة اليهودية تحتوي على عناصر كثيرةٍ موثقٌ أنَّ مصدرَهَا حضارات بلاد الشام وبلاد مابين النهرين.

ونجد لزاماً علينا قبل أن نترك خليل وشأنه "التَعلّيمَ" على المصداقية في أسلوبه. ومن أجل ذلك نستعيد ما أعلمنا به من أن الرب عندما خاطب موسى قال له : "**لتصنع على عيني**" وفهمها على أن الرب أخبره بأن بعض البشر سيقومون بتعليمه. وكلمة "سيقومون" تشير إلى المستقبل. أي إن عملية التعليم لم تكن قد حصلت بعد. وموسى لم يصل إلى جبل الطور في سيناء ولم يتحدث ربه معه إلا بعد أن غادر قصر فرعون هارباً بعد قتله للرجل المصري. فإن كان موسى قد تعلم في قصر فرعون قبل هربه لما جاءت الآية على هذا الشكل على الإطلاق.

الأسس الفكرية التي استند إليها خليل عبد الكريم

من الأسس الفكرية التي اعتمدها خليل في كتابه اعتبار جميع كتب السيرة والتراث مراجعَ يجوز الاستناد عليها بالرغم من نفور عقل الإنسان من المغالاة في بعض المعلومات التي وردت فيها. لقد اعتبر كلّ ما جاء في الكتب التراثية مسلمات لا اعتراض عليها "**خاصة فيما يتعلق بالخوارق والمعجزات والمدهشات التي ارتبطت به = أبي القاسم** [محمد (ص) [4]] **من قبل ولادته ثم حمله فوضعه ورضاعته وطفولته وصباه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩)

يلمس كل قارئ عادي لكتاب خليل قناعته الضمنية بعدم صحة المعلومات حول المعجزات والخوارق. فهو يكتب بأن "**تلك الأعاجيب والمعجزات والمخاريق والشعبذات جزء عضوي في البانوراما...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٠) ولكنه، بالرغم من وصفه لها بالـــ "**شعبذات**" يصر على التعامل معها على أنها حقائق ويأتي بمبررات مختلفة لاعتبارها حقائق مسلم بها فيقول مثلاً:

---

[4] – نشير للقارئ الكريم بأن القوسين: [ ] يشتملان على كلامنا تمييزاً له عن الاقتباس.

"إن الطعن في هذه الأخبار يعطي خصومنا في الرأي سلاحاً – ولو أنه مفلول – أننا نطعن في الأحاديث والسنة."....

ان المعجزات والأعاجيب والمدهشات والمخاريق جزء من معتقدات تلك البيئة شبه المتبدية....فأنّى لمن يكتب عن تلك البيئة ويشخصها أن يتغاضى عن المعجزات والمدهشات والأعاجيب والمخاريق ولو فعل ذلك هل تغدو كتابته موضوعية أم العكس هو الصحيح؟"

ان تلك الأعاجيب والمعجزات والمخاريق والشعبذات هي جزء عضوي في البانوراما التي جهدنا لتقديمها للقارئ عن ذلك الجو (الفضاء) الذي تشكلت فيه الأحداث التي عنينا بدراستها قدر الطاقة "عناية" مضاعفة ولا يدل على أنها جاءت كاملة عرية من أي نقص." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٠)

هذه أمثلة من الذرائع التي جعلت خليل يعتبر المعجزات سنداً مشروعاً لاستنتاجاته الغريبة. ولكن هذا أمر لا يستقيم لأنه لا يجوز لباحث فَلْقَ المنطقِ الواحدِ إلى شعبتين متضاربتين! فإما أن يناقش بمنطق علمي في كل ما يكتبه فلا يستند إلى الشعبذات أو أن يتبنى الشعبذات في كل المواقع دون تمييز. إنه هو الذي يكيل بمكيالين متناقضين لا يمكن أن يوصلا إلى حقيقة واحدة تقاوم الانفصام.

يعبّر خليل عن قناعته بأن الشعبذات والمخاريق والأعاجيب مجرد كلام لا يمت إلى الواقع بصلة ويشير في مواضع كثيرة إلى أن الإسلام لا يفخر بأية معجزة سوى القرآن. فمحمد (ص) لم يمشِ على الماء ولم يُحْيِ الموتى وإنما نقلَ وحياً معجزاً حقاً هو القرآن. لكن الكلام عن معجزات موجود في الكتب. فمن أين أتى؟

إن لنا رأياً في ذلك. فهي تبدو لنا نتيجة لنقاش بعض المسلمين الأوائل الذين لم يكونوا على درجة كافية من المعرفة تمكنهم من مواجهة جدل الكفار والناقمين على الإسلام حجة بحجة. فرب مناقشٍ كتابيٍّ تفاخر أمام مسلم في بدء نشر الدعوة بأن نبيه عيسى كان يمشي على سطح الماء وكان يشفي الموتى ثم سأله: فماذا يستطيع أن يفعل نبيك محمد؟

ليس من المستبعد أن يشعر المحاور المسلم خلال نقاش محرج كهذا بشبه نقيصة فيصطنع معجزات ومدهشات ليبعد عن نفسه الارتباك. معجزات لم يدعُ لها محمد (ص)

في أي لحظة من لحظات حياته وليس هو بمسؤول عنها بعد أن رفض تبنيه لأي منها طالما كان على قيد الحياة.

وفي غمرة دفاع خليل عن ضرورة اعتبار المعجزات جزءاً يجب الاستناد عليه يتساءل:

"**لماذا اعتمدتم على كتب التراث في نقل عشرات من الأخبار والوقائع والنوازل ثم تركتم روايات هذه الكتب ذاتها التي تحدثت عن الخوارق والمعجزات والتنبؤات؟ ما هو المقياس الذي سمح لكم بتبني الأولى وشلح الأخرى؟**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٥٨)

إن طرح السؤال غير منطقي! فالقارئ يتقبل المعقول ويشكك في الخوارق غير الطبيعية ولذلك فإن اهمال القارئ لما هو غير معقول هو التصرف الصحيح. والقرآن شدَّدّ على ضرورة محاكمة الأمور عندما قال:

"**ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم. إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولا.**" (الإسراء الآية ٣٦)

فالإسلام يحث على إعمال الفكر ويطلب من الإنسان الوقوف من كل أمر موقف الممحص المدقق فيهمل ما يتنافى مع العقل. فلا عجب في أن التناقض مرفوض ولو جاء في بعض الحديث ما هو مختلف عليه بين الفقهاء.

لقد طالب خليل أيضاً بقبول الأخبار الواردة في الأحاديث مرجعاً للباحثين فقال:

"**نحن لا نشكك في الأحاديث ونخاصم فكرياً بكل قوة أولئك المتنطعين والمتفيقهين الذين ينادون بمقاطعة الأحاديث والأخبار والآثار المتعلقة بـــ (صاحب لواء الحمد) [المقصود محمد (ص)] والاكتفاء بالقرآن العظيم ونرى أنها دعوة فسيدة....**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٦٣) بل إنه يسوغ الاستناد إليها حتى ولو كانت معلولة. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٠) ويطلب منا "**بقبول الأحاديث حتى المعلول منها.**"ولكن كيف يحق له الاستناد إلى كتابات يرى علةً فيها ليصل من خلال المعلول إلى الحقيقة؟ وما هي حقيقةٌ تستند إلى علة؟

مظاهر جانبية غريبة للكتاب

آ – تحامله على الجزيرة العربية:

من الملاحظات التي لا نريد تحميلها أكثر مما تحتمل في كتاب خليل تحامله على العرب وعلى الجزيرة العربية بشكل خاص. فهو يكتب على سبيل المثال:

"**إذ أن العرف استقر آنذاك وما زال حتى الآن في شبه الجزيرة العربية المباركة بل في صعيد مصر الذي دهست أراضيه قبائل كثيرة مع الغزو العربي الاستيطاني بقيادة عمرو بن العاص ذلك الذي فعل الأفاعيل هو وجنوده في مصر المحروسة عكس ما يزعمه حملة المباخر من المؤرخين المحدثين.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٧)

يبدو أن خليلاً غابت عنه حقائق التاريخ ونسي أمرين مهمين في دخول المسلمين أرض مصر. فعمرو بن العاص أخرج المستعمر الروماني الذي كان يستعبد أقباط مصر وقد كان " **حريصاً على أن يباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة ليظل القتال محصوراً بينه وبين جنود الرومان الذين يحتلون البلاد ويسرقون أرزاق أهلها.** " (رجال حول الرسول – خالد محمد خالد، صفحة ٥٧٥) ولم تحدث أية معارك تُذكر مع أقباط مصر.

ووصل حديث النبي إلى الأقباط حيث أوصى بأهلها خيراً فتعاملوا مع المسلمين من هذا المنطلق وليس كما أراد خليل اقناعنا به.

وفي سياق آخر كتب مستخفاً بإلمام العرب بالعلم:

" **وخاصة أن عرب ما قبل الإسلام ...علمهم بالطب معدوم وكل ما لديهم من معارف محدودة استقوها من التجارب وهذه لا يقال عنها علم.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٤٥)

عجيب أمر هذا الكاتب! لقد اعترف بأن هؤلاء العرب كانوا يجرون التجارب. ونحن كنا نعلم وما زلنا نعلم أن العلم لا يتأتى إلا عن طريق إجراء التجارب. فكيف يمكن لمجتمع يجري التجارب أن يكون معدوم العلم؟ هل عَلِمَ خليل بتقدم العرب في علوم الفلك وبأن الأسماء العربية لتشكيلات النجوم ما زالت تستخدم حتى الآن في أنحاء العالم؟ إن الإنجازات العربية لا تقف عند هذا الحد! فمن الأمور الثابتة أن قصياً أسس البناء الإداري والأمني في مكة وتابع ابنه التنظيم ثم تبعه حفيده ثم ابن الحفيد. هؤلاء هم الذين اتصلوا بالقوى العالمية في بلاد الروم والفرس والحبشة واليمن وعقدوا معها أحلاف الأمن، (الإيلافات)[٥]. هم الذين نظموا حلف الفضول الذي أَمِنَ به كل مواطن من الظلم والأذى سواء أكان مقيماً أم حاجّاً أم ماراً مرور الكرام[٦]. وهم الذين أطعموا الجائع والفقراء من

---

[٥] – نقتبس من كتاب آخر لخليل حول نشاط هاشم من أجل الإيلافات: "**ثم يسوق الصالحي قصة ركوب هاشم إلى الشام ودخوله على قيصر فـ (كلمه فأعجبه كلامه، وأعجب به وجعل يرسل إليه ويدخل عليه) وأخذ منه كتاب أمان لمن أتى منهم إلى بلاده، وأخذ الإيلاف من أشراف القبائل ما بين مكة والشام، فكان ذلك أعظم بركة....ولم يكتف هاشم بذلك بل دفع بإخوته الثلاثة إلى أن يأخذوا أماناً ويعقدوا عقوداً مع سائر الملوك الذين كانوا على حوافي جزيرة العرب.**" ذهب المطلب بن عبد مناف إلى بلاد اليمن، وعبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة، ونوفل بن عبد مناف (وهو غير والد ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى) أخذ عهداً من كسرى. (خليل، قريش، صفحة ٥٣)

[٦] - اجتمع مختلف الأطراف و "**تعاقدوا وتعاهدوا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بلّ بحر صوفة وفي التآسي في المعاش، فسمَّت ذلك الحلف حلف الفضول.**" (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٩٨) ويورد خليل نموذجاً لا يخلو من طرافة عن فاعلية حلف الفضول وأثره على سمعة سادات قريش أن رجلاً من خثعم قدم إلى مكة مع ابنته التي كانت من "**أوضأ نساء العالمين**" فاختطفها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه. فاستنجد بمن يعيد ابنته إليه فقيل له: عليك بحلف الفضول. فاستنجد بهم في حياض الكعبة فاستجابوا يقولون: جاءك الغوث. فأحاطوا بدار نبيه

الحجيج، وفي عهودهم نهضت حضارة اللغة العربية إلى أعلى المستويات شعراً ونثراً ونظمت الرحلات التجارية الآمنة والأسواق مثل عكاظ وغيرها.[٧]

ب - الإسفاف اللغوي وغرابة المفردات:

بعد هذا التوضيح لمآرب خليل الفكرية البعيدة ننتقل إلى مناقشة كتابه مشيرين إلى ملاحظات ستة تبدو ثانوية للوهلة الأولى وهي:

١ - عدم التزام خليل بتحديد نصوص الاقتباسات وفصلها عن تأليفه.

٢ - حرصه الكامل تقريباً على تفادي استخدام كلمة محمد ليتجنب ذكر صاد التكريم.

٣ - مبالغته التي تصل إلى حدّ الرخص والإسفاف في تمجيده للسيرة.

٤ - استخدامه لمفردات لغوية شديدة الغرابة.

٥ - أسلوبه في استخدام الحواشي التي يسميها: هوامش.

٦ - حرصه المبالغ فيه على دقة تشكيل الكلمات.

لقد أثارت النقاط الستة انتباهنا ودفعتنا للاعتقاد بأن لها مدلولاً لا يخلو من غموض نريد تعريف الباحثين والقراء به

١ - أول هذه الأمور عدم التزامه بتحديد بدء أي اقتباس جاء به ونهايته بشكل واضح ملزم مما أدى إلى عدم إمكان فصل نص الاقتباس عن آراء المؤلف. وهذا أمر شديد الأثر في الاستنتاجات الفكرية. إنه يزعج أي باحث ويعيق سلامة الاستنتاج.

بن الحجاج وطلبوا ابنة الخثعمي منه. فأجابهم: "**أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا والله ولا شخبة لقحة (أي برهة وجيزة) فأخرجها إليهم.**" خليل، صفحة ٩٦)

[٧] - يعدد خليل عبد الكريم في كتابه "**قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية**" الأسواق التي نصبتها وروّجت لها قريش للرفع من شأن الرعاية القرشية لأمور العرب. فلم يقتصر الأمر على سوق عكاظ الشهير وإنما أيضا :"سوق ذي مجنة" قرب مكة، و"ذو المجاز" وخيبر. ويعقب خليل على الأسواق بـ"**أن قريشاً ربطت هذه الأسواق بموسم الحج الأكبر ولأن مواسم بعض الأسواق ... تقع أيام حجهم...وتلك ميزة لا تتمتع بها غير مكة ولا قوم إلا قريش.**" (خليل، قريش، صفحة ٣٣٤ - ٣٣٥)

٢ – وثانيها أننا لمسنا لدى خليل إصراراً عجيباً على تحاشي استخدام إسم محمد (ص). فتجنبه لذكر "محمد" يعفيه من إيراد "صاد التكريم" كما نرى في المثالين التاليين:

آ – " **فالطاهرة لم تنتظر القادم الجديد فحسب، بل فلت مجتمع مكة ودققت النظر في قوادمه وخوافيه...حتى اهتدت إليه: إلى القادم الجديد.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١)

والقادم الجديد هو محمد (ص) وبما أن المؤلف لم يستخدم الإسم فلا حاجة لصاد التكريم.

ب – "**وكنا قد طلبنا وألححنا بل ألحفنا في الطلب بضرورة كتابة التاريخ العربي الاسلامي كتابة علمية موضوعية بدياب**[٨] **الحبيب المصطفى...**" (خليل ، فترة التكوين، صفحة ١٩)

فالحبيب المصطفى هو محمد (ص). والأمثلة على لجوئه إلى ذلك الأسلوب تملأ كل صفحة من كتابه تقريباً ولكن تشكيلة التعابير التي استنبطها وكرر استعمالها عجيبة وغريبة في كثير من الأحيان، وفيها قلة أدب في أحوال كثيرة. ورأينا أن نذكرها عسى جمعها يفيد في شأن ما من شؤون المعرفة.

أبو القاسم – سيد ولد آدم – الأمين – سيد الخلق – الصادق المصدوق – القادم المأمول – حامل لواء الحمد – المنتظر – الأمين المأمون – راعي الغنم – الفقير – سيد الأولين والآخرين – البشير النذير – الغائب – سيد ولد عدنان – المنصور بالرعب – [صفة صحيحة نُعتَ بها محمد (ص)] – المعصوم – خيار بني عبد مناف – سيد الناس وديان العرب – المليح الوجه – الولي – سيد الناس – موضوع التجربة – [مقصود خليل من هذا الوصف هو التعبير عن أن محمداً (ص) كان مجرد كيان اختارته خديجة (ر) لتجري تجاربها عليه) – الحبيب المصطفى – القادم والمنتظر والمأمول – إمام الأولين والآخرين – سيد أهل الله – أول شافع وأول مشفع – حبيب الله – سيد العرب والعجم – درة بني هاشم – صفوة الخلق – المزمل – الصين / المصون – الذي سيفه على عاتقه –

---

[٨] - لم أفهم معنى كلمة دياب ولم أبحث عنها. فهل عجز عن إيجاد تعبير آخر يفي بالغرض ويرحم من هم أقل إلماماً بالعربية منه؟

الظفور – الأعظم – صاحب الملحفة – الأوسط – سيد الثقلين – سابق العرب – الزمزمي – ذي الميسم – المصلح – اللبيب – المترحم – صاحب السيف – الشدقم أي البليغ المفوه – المطيع المطاع – المتضرع في الدعاء – الشهم – صاحب الرداء – الخالص – الخاشع – الخاضع – امام المتقين – صاحب الهراوة – المتوكل – صاحب التاج – الناطق بالحق – الهمام – صاحب النعلين – راكب البعير – الذي تنام عينه ولا ينام قلبه – الألمعي – صاحب الخلق العظيم – المعروض عليه مفاتيح خزائن الأرض – المُعطى جوامع الكلم – صاحب الفضل العظيم من الله –الورع / الوجيه – ذؤابة قريش – المرتضى – المتين – مقدم عترة الله – المحمود – المتربص – البهى – الأعز / الأعظم – صاحب الدعوة المستجابة – الشاهد الداعي – الصحيح – الصفي – الظاهر – الحلاحل / الشجاع – المنتدب – صفوة بني قصي – أفصح العرب – حبيب رب العالمين – العطوف – المرتقب – قائد الخير – سعد الله – المجير – أعظم الكائنات – الأنوار/ المتجرد – الهاشمي / الهمام – المستجيب – الضحوك – المعروف – الهين – صاحب الشملة – المهذب – الفاتح – أنفس العرب – السراط المستقيم – الصبيج [؟] (صفحة ١٤٣] – الماحي – الخاتم – السنا – صفوة البشر – قطب الأقطاب – الفارق بين الحق والباطل – عين العز – النجم الثاقب – المضخم – المعطى خزائن الأرض – أحمد – راكب الجمل – المجتهد – الذي سيفه على عاتقه – الموقن – صاحب المغنم – أول من يفيق من الصعقة – الأمجد – المرشد – صاحب المحجة البيضاء – الشتن [؟] (صفحة ١٥٥] – الكافي – صاحب زمزم – الفدغم [؟] (صفحة ١٨٢] – الأسوة الحسنة – المطيع – الخاضع – الأطيب – البهاء – الطهور – الحبيب – صفوة البشر – المليء – الممنوح – حرز الأميين – الصابر – الأكرم – الكامل – أحمد – الصبور – النسيب – المحرض – المتبتل – المكافى – صاحب النعلين – المنصور بالرعب – سيد ولد عبد مناف – صاحب لواء الحمد – صاحب التاج – فاتح الكنوز – المؤمل – الحيى [من الحياء]– سابق العرب – اليتيم – النجيد – النجيب – الشكار [من الشكر] (صفحة ١٨٥) – المسدد – الجواد – قثم [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢١٥] – راكب الأتان – الفرد / الفخم _ لابس الشملة – الحكم / الحكيم – الراضي – الحامد – الصفوح – الخالص – الأدعج [؟]

(خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٢١)- صاحب الشملة - المكرم - الميسر - الأبيض - السنا - الناهي - المعزر [من التوقير] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٢٥) - الألمعي - آكل الشعير - الصنديد - الناسك - المشاور [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٢٩] - الحاشر - أكمل البشر - الفخر - البارع - الحفى - الشارع - المحلل / المحرم - المأمول - رحمة العالمين - سيد الأولين والآخرين - الصادق والمصدوق - صاحب الخاتم - ذو العطايا - المسبح - صاحب النسب الموصول - قمة ذؤابة قريش - المزمل - محمود - ديان العرب - المعطى مفاتيح خزائن الأرض - صاحب القبلتين - أحمد - أول من تنشق عنه الأرض - المحمود في الأرض والسماء - الحاشر - المعصوم عن الناس - راكب الحمار - الساجد - المتنع - الموقن - المقدس [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٤٧] - المثبت - المستعنى - المنقذ - الحبيب المصطفى - المدنى [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٥٣] - رحمة الله للعالمين - المطهر - حدث المعجزة - المعصوم من الناس - الرؤوف - الرحيم - صفوة البادي والقار [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨١]- الأسوة الحسنة - أبو ابراهيم - جد الحسنين - الطفور [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٤] - أبو الأرامل - سيد الكائنات - صاحب الخلق العظيم - صاحب الختم - الجامع - جهضم [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٨) - المستقيم - الخاشع / الخاضع - المخبت [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٨٥ و ٢٩٢) - المجيب - حرز الأميين - الأمي - المكي - قدم صدق [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩٠) - الشافع المشفع - الخافض / خافض الجناح - الفلاح - جدّ الحسنين - المسعود - المتين [؟] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠٩) - الأوّاه [؟] - آكل الشعير - الراضي - العطوف - الفارق - أعظم الكائنات - المعطى الوسيلة - الشاهد الداعي - لابس الصوف - المهاجر الى يثرب - من تنام عيناه ولا ينام قلبه - أكرم الخلق - صاحب المدرعة - الفائق - خيرة بني هاشم - الحميد - الرائي - صاحب الهراوة - راكب البغلة - المبتهل - المذكور - المبيح - الفرط [السابق] (صفحة ٣٧٠) - الضياء - المختار - صاحب القدم - الماحي [من أسماء الرسول في السنة مثل: الماحي والعاقب والحاشر...] (صفحة ٣٨٩) - سعد الخلائق - البهي - الحميد - الغطمطم [؟] (صفحة ٣٩٥)

إننا نستغرب استخدامه لأسماء لا تعبر عن احترام على شاكلة: "**صاحب النعلين**" "**راكب البعير**" "**راكب البغلة**" "**راكب الناقة**" "**راكب الحمار**" "**راكب الأتان**" "**راكب الجمل**" "**راعي الغنم**" "**الفقير**" "**صاحب الهراوة**" "**أول من يفيق من الصعقة**" "**آكل الشعير**"

نحن لا نستبعد أن يكون لبعض هذه التسميات أصل ورد في بعض أمهات الكتب. ولكن لماذا يستخدمها في مواقع لا مسوغ لها بدلاً عن "محمد" (ص)؟

٣ - وثالث هذه الأمور مبالغته العجيبة في تكرار وصف السيرة النبوية بأجمل الأوصاف. فهل أراد باستخدامها النيل من كتّاب السيرة ومن شخص محمد (ص) أم ليغطي نفاقه على مبدأ القدح بصيغة المدح؟ لنلق نظرة على مجموعة هذه التعابير:

- السيرة المحمدية ذات الوزن الثقيل والمقام المحمود. (صفحة ١٣)
- السيرة المحمدية التي هي كما المسك الفائح.
- كتب السيرة المحمدية الفائحة بالمسك. (صفحة ٢٨)
- سيرة محمد ذات الرائحة التي ترد الروح.
- السيرة المحمدية الطيبة.
- قرأنا سيرته التي تتضوع روائح طيبة.
- السيرة المحمدية التي هي ذات ريح أجمل من رائحة العنبر الأصحب.
- السيرة المحمدية التي هي أحلى من تفاح الشام مضرب المثل في الحلاوة.
- السيرة المحمدية التي تتضوع مسكاً.
- سيرته التي هي أحلى من سكر الأهواز.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من العود الصنفى (صفحة ١١٤)
- السيرة المحمدية الزكية كما المسك.
- سيرة صاحب الدعوة المستجابة التي هي أطيب من زعفران قم.
- السيرة المحمدية الكريمة ذات الرائحة التي هي أطيب من عنبر الشحر. (صفحة ١١٩)
- السيرة المحمدية ذات الريح الذي هو أطيب من العنبر الأصهب.

- السيرة المحمدية التي هي أطيب من مسك (تبت) [هل يقصد هضبة التيبت في الصين يا ترى؟]
- السيرة المحمدية المعطار.
- السيرة المحمدية الزكية الريح مثل الند.
- السيرة المحمدية التي هي كالورد المتفتح الذي ينثر شذاه في كل اتجاه.
- السيرة المحمدية التي هي أشد شذى من الورد البلدي.
- السيرة المحمدية الفائحة بالمسك.
- السيرة التي هي أسنى من ذكاء. (بضم الذال).
- سيرة محمد التي هي أحسن من صوت (هزاز دستان)
وهو طير له صوت كأنه مزامير داوود.
[نشير إلى أن المؤلف أعلمنا باسم الطير دستان وشرح لنا أيضاً مواهب هذا الطير الموسيقية.]
- سيرة الماحي [محمد] التي هي أجمل ريحاً من نشر القطر.
- سيرته العظيمة الفائحة بالرائحة الطيبة كما المسك.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب من ورد جور.
- حياة محمد التي أطيب من ريح الخزامى. (صفحة ١٧٣)
- سيرة محمد التي هي أطيب من رائحة الورد.
- سيرة (الهادي) التي هي أجمل رائحة من الألوة مع الكافور والزعفران. (١٨٢)
- سيرة (الأبطحي) التي هي أطيب من ريح الخزامى.
- سيرة (الأشنب) الأحلى من سكر الأهواز.
- سيرة (صاحب الخلق العظيم) التي ريحها أجمل من ريح المقطر (المجمرة). [؟] (صفحة ١٨٦)
- السيرة المحمدية التي هي أحلى من عسل الموصل.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من زعفران.
- سثيرة (المتبتل) التي هي أطيب رائحة من ورد جور.

- سيرته التي هي أطيب من المسك.
- سيرة صاحب زمزم التي هي ألذ طعماً من تفاح الشام
- سيرته التي هي أطيب ريحاً من زعفران قم.
- سيرته العطرة ذات الرتبة العالية والدرجة الرفيعة والمقام المحمود.
- سيرة محمد التي هي أحلى من سكر الأهواز وتفاح الشام.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من الزعفران والكافور.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب رائحة من زعفران قم.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من بخور الهند.
- السيرة المحمدية التي هي أزكى رائحة من الألوة. [؟] (صفحة ٢٥٩)
- السيرة المعطار التي هي أحلى مذاقاً من تفاح الشام.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من المسك الأذفر. [؟] (صفحة ٢٧٦)
- سيرته المعطاءة التي هي أطيب ريحاً من (الألوة مع الكافور والزعفران).
- سيرته الفائحة بريح المسك الأصهب.
- سيرته التي هي أزكى رائحة من الند الهندي.
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من نشر القطر.[؟] (صفحة ٣١٦)
- سيرته التي هي أطيب رائحة من بنفسج الكوفة.
- السيرة التي هي ألذ طعماً من عسل الموصل.
- السيرة المحمدية التي يفغم (بفتح) طيبها سدة المزكوم. [؟] (صفحة ٣٣٤)
- السيرة المحمدية التي هي أطيب ريحاً من مجمر المسك المخلوط بالعنبر.
- السيرة المحمدية التي هي أزكى رائحة من نفحات المسك الأصهب.
- السيرة المحمدية الزكية كما المسك الفائح.
- سيرته التي هي أزكى ريحاً من مسك التبت.
- السيرة المحمدية التي تزري حلاوتها بطعم تفاح الشام.
- السيرة المحمدية العطرة التي هي أحلى من عسل الموصل.

٤ – ورابعها استخدامه لمفردات لغوية غريبة لا ضرورة لاستخدامها بالإضافة إلى إتيانه بجمل ممجوجة بالرغم من صحتها لغوياً. وعلى ذلك نأتي بالأمثلة التالية:

استخدامه لتعبير "**الهندوز**" لخديجة (ر) و"**اليعسوب**" لورقة بن نوفل. فكلمة هندوز فسرها لنا بــ :

"**يقال رجل هندوز = مجرب جيد النظر صحيحه**." لننتبه إلى أنه في كل كتابه لم يستخدم كلمة هندوز مؤنثةً. فهل تعمد الغمز من خديجة بجعلها الرجل؟ ولا يكتفي خليل بهذا الشرح وإنما يتابع ممارسة درسه اللغوي علينا قائلاً: "**والجمع هنادزة ويقال هم هنادزة هذا الأمر أي علماء به**." (صفحة ١٠٩) ونحن لا نرى ضرورةً لاستخدام كلمة "هندوز" ولا يفيد القارئ معرفة أن كلمة "هنادزة." هي اسم الجمع لها.

أما تفسير اليعسوب فيفسره لنا خليل: "**من معاني اليعسوب – الرئيس الكبير**"

إني آسف لتساؤل كنت أتمنى سماع الإجابة عليه من خليل نفسه: فماذا تفاعل في دماغه يا ترى عندما قرر استخدام هذين التعبيرين بدلاً من "خديجة" و "ورقة" ؟

ونتابع الأمثلة بإيراد عناوين الفصل الأول من كتابه وهي:

- **مدخل ، قيدام ، فرشة**

أما الاسم الأول فمفهوم. وأما قيدام وفرشة فلم ندرك الغاية منها.

– "**لا يختلف بشأنه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان**" (بمعنى لا خلاف عليه)

– "**فلجت**" ، بمعنى تفوقت.

– كتب خليل: ...**اشتد عوده واستوى على ساقيه بالأيأة التي يطالعها القارئ**." (صفحة ١٩) وعند كلمة "الأيأة" وضع رقم حاشية فلاحقناها على الصفحة ٣٢ من كتابه فوجدنا الشرح التالي: "**في القاموس المحيط الأيأة هي الهيأة**." فلماذا استخدم الغريب في الصفحة ١٩ ليشرحه لنا بكلام يفهمه عباد الله المساكين على الصفحة ٣٢؟

– "تشيأ الحلم على الأرض"، بمعنى تحقق الحلم.

– "لبدوا بين صفحاتها يفروها"، بمعنى استقروا بين صفحاتها يدققون في معانيها.

- "**ونحن ندع القارئ الفطن لينقه دلالة ذلك.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١٨) عند كلمة "ينقه" وضع رقماً لحاشية. وفتحنا صفحة الحاشية على الصفحة ١٥٨ فوجدنا الشرح التالي: "**يفهم – فإن قوله نقهت الحديث يعني فهمته.**" ثم يحدد لنا المرجع اللغوي الذي استند عليه وهو: **(تصحيح الفصيح وشرحه) لابن درستويه – تحقيق د. محمد بدوي المختون – مراجعة د. رمضان عبد التواب ص ١١٣ – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.** "

لماذا استخدم الكلمة الغريبة إن كان سيشرحها في موضع يبعد ٤٠ صفحة عن مكان ورودها؟ وما غايته من إيراد اسم المعجم واسم مؤلفه وإسم من حققه وإسم من راجعه واسم الدار التي نشرته ومكانها ولم يجعل ذلك في قائمة المصادر والمراجع التي أوردها في نهاية الكتاب؟

لقد أورد على الصفحة ٤١٩، وهي الصفحة الأخيرة، ملاحظة مفادها: "**ملحوظة تهم القارئ. تاريخ النشر ودار النشر والمدينة التي صدر فيها الكتاب جميعها مرقوم تفصيلاً في الهوامش.**" فهل معنا حق بأن نرى في طريقته شيئاً من التضليل؟ إن مكان معلومة كهذه هو في نهاية أي كتاب أو في بدئه. فهل أراد خليل من القارئ أن يطلع على إسم مرجع في نهاية كتابه ثم يبحث في ٤١٩ صفحة ليجد أين وردت تفاصيل المرجع؟ ألم يتعمد إنهاك القارئ فيصيبه الملل ليحجم عن التحقق من مضمونها؟

مثال آخر عن استخدامه للغريب نأخذه من " **الحامة** " و "**سمادعها**" (سميدع) صفحة ١٢٧ ثم شرح الكلمتين على الصفحة ١٦١.

لوذعي، القلوطة، الصنفرة، الزكانة .

- عاشت خديجة " **في بلهنية ورفغنية**" في الحاشية يعلمنا، استناداً إلى القاموس المحيط بأن المعنى هو: **سعة العيش.** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٣)

- كتب خليل متسائلاً : " **ما هي ثقافة الهندوز وما مداها هل هي عميقة أم متوسطة أم وشلة (ضحلة)؟** لقد كتب بنفسه كلمة "وشلة" وكتب بنفسه أيضاً معناها المفهوم الواضح الفصيح. فلماذا لم يكفنا إبراز مهارته اللغوية بالاكتفاء بكلمة "ضحلة"؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٨)

تستخدم الحواشي عادة لتفسير أو توثيق كلمةٍ أو فكرةٍ جاءت في متن النص. وهذا واجب عندما تكون الكلمة الغريبة جزءاً من اقتباس. أما أن يكتب الكاتب كلمة غريبة لا ضرورة أبداً لاستخدامها ثم يضع لها حاشية تشرح الكلمة الغريبة فهو الفسق بعينه تجاه القارئ. والأمثلة على ذلك عند خليل لا حصر لها. ففي الصفحة ٢٨٩ استخدم كلمة "**عسفاء**" ووضع عليها رقم ٢٩ وعندما انتقلنا إلى الصفحة ٣٩٧ حيث شرح الكلمة وجدنا: "**في معاجم اللغة = العسيف هو الأجير**."

فلماذا لم يشفق على القارئ باستخدام الكلمة الواضحة بدلاً من الكلمة الغريبة المستعصية على القارئ المسكين؟ لو كان استخدامه للكلمة استشهاداً من المراجع لما كان لنا اعتراض. ولكن خليل لم يُشِرْ إلى ذلك لا في هذا المثال ولا في أمثلة كثيرة أخرى.

ومثال آخر كتبه خليل:

"**الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد الذهبي ... يذكر بجلاء لا لبس فيه ووضوح لا غموض يشوبه أن (الأمي) لا يتوجه إلى مغارة حرى [حراء] إلا وسيدة قريش معه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧٥)

وهنا يضع رقما للحاشية ١٢٣٠! وتوقعنا أن نجد توثيقاً للكلام الذي كتبه المؤرخ شمس الدين محمد الذهبي. ولكن ظننا خاب كلياً لأننا لم نجد حرفاً يشير إلى مصدر الاستشهاد وإنما كتب لنا تفسيراً لــ "**إلا وسيدة قريش معه**": "**العامة في مصر تقول: رجلها برجله.**" ليصبح النص: "لا يتوجه إلى غار حراء إلا رجلها برجله."

ويبلغ الاستهتار بالقارئ حداً مؤلماً عندما ننظر إلى المثال التالي:

في أسفل الصفحة ٣٢٣ من كتابه ورد النص التالي:

"**ذكر في وقت متقدم أن معطيات دووااين السيرة المحمدية التي هي أطيب رائحة من مسك تبت.**"

وعند كلمة "تبت" وضع لنا رقم ١٠٦ كحاشية. فتحنا صفحة ٤٠٢ لنقرأ شرح الحاشية فوجدنا: "**سبق شرحها**" فما هذا العبث؟ لماذا لم يشرحها ثانية إن كان قانعاً بضرورة تكرار الشرح؟ ولماذا لم يعلمنا برقم الصفحة حيث سبق أن ورد شرح الكلمة؟ هل أراد من القارئ البحث في ٣٠٠ صفحة من الكتاب ليجد مكان الشرح السابق للكلمة؟

هل أراد أن يقول للقارئ: "لقد ورد شرح الكلمة من قبل وأخليتُ مسؤوليتي. فإن لم تحفظها فهذا ذنبك."

٥ - وخامسها حرصه على دقة تشكيل الكلمات مثل قوله **ذكاء (بضم الذال)** أو يكتب: **فاعليها (بفتح اللام)** أو: **طلاب (بكسر الطاء)** أو: **الخلق (بفتح الخاء وسكون اللام)** أو: **وتنبني على المحير (بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الياء).** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٧)

لم يضع خليل في الأمثلة السابقة أي تشكيل وإنما كتب: بفتح أو كسر أو ضم. ولكننا نجد على الصفحة ٣٠٠ نقرأ: "**هل قصر في عُمالته (بضم العين أي وظيفته)** ففي هذا المثال وضع الضمة على حرف العين ولكن ذلك لم يمنعه من فتح القوس وكتابة "**بضم العين**"

فلماذا لم يستخدم التشكيل المعروف منذ أكثر من ألف سنة وقد استخدم بنفسه هذا التشكيل في نفس الكتاب؟

صحيح أن كتابة التشكيل على طريقته موجود بكثرة ملفتة في الكتب العتيقة. لكن ذلك كان قبل أن ينتشر ويتعمم ما وضعه أبو الأسود الدؤلي من إشارات الفتح والضم والكسر. فهل ذهبت بخليل روح الكتابة إلى عصر ما قبل التشكيل؟

وهل علينا أن نحني هاماتنا لتلك الدقة في التوثيق الذي لا داعي له إطلاقاً أم نبتسم مع خيط من الاستغراب؟ هل أراد أن يبهرنا بمعلوماته الموسوعية فقط أم ماذا كان هدفه؟

خديجة في مركز الحدث

في هذا الموضع الرئيسي من نقاشنا مع خليل وقبل الشروع في الكلام عن خديجة (ر) نوضح أسلوبنا في إبراز تزييفه لمعاني النصوص في مواضع متعددة. إننا نتعاطى مع تناقضاته وانحراف استنتاجاته بدحض مصداقيتها دون أن نتخذ موقفاً خاصاً بنا حول النقطة التي نتعاطى معها. إننا نناقشها ونكتفي بإبراز خطأه وتحامله لأن استنتاجاتنا تحتاج إلى كتاب مستقل ربما ننشره بعد إنجاز كتابنا حول: "**حتمية سقوط الرأسمالية**." والآن ننتقل إلى لب موضوع هذا الكتاب بشرح حول خديجة (ر):

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.[٩] ولدت عام ٥٥٦ ميلادية، أي قبل عام الفيل بسنة، وبلغت الخامسة والستين من العمر. والدتها فاطمة بنت زائدة بن جندب. تزوجت بالمجموع ثلاثة أزواج. الأول هو عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الذي أنجبت منه ولداً وبنتاً. وبعد وفاته تزوجت من أبي هالة، هند بن زرارة التميمي. وبعد أن تركها وغادر إلى الحبشة تابعت العمل في التجارة إلى أن تعرفت على محمد (ص) وتزوجته.

---

[٩] – سهي خليل فكتب: خديجة بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي. متجاوزاً أسد. (صفحة ١٠٩)

يبدأ خليل عملية الرفع من شأن خديجة (ر) بتوجيه اللوم إلى كتاب السيرة الذين لم يلتفتوا إلى خديجة إلا بعد تشغيلها لمحمد (ص) في تجارتها و"**كأنما تاريخ الطاهرة لم يبدأ إلا بعد تماسها بالأمين بدياً باستئجارها إياه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٧)

لكن خليلاً لو أمعن فكره لاكتشف أن عدم التفاتهم لها قبل ذلك كان نتيجة طبيعية لعدم تميزها بأمور تستدعي أن يتناوله المؤرخون ويثبت أن علاقتها به لم تبدأ فعلياً إلا في تلك المرحلة.

وفي ذات الصفحة هاجم خليل كتبة السيرة بقوله: "**ان معرفة أولئك الكتبة بالطاهرة وشلة وعلمهم بتاريخها ضحل وإدراكهم لاتجاهاتها التيولوجية مهزول ونحيف وأعجف.**" فإن أهمل كتبة السيرة تأريخ حياتها ونشاطها فمن أين جاء خليل بالتاريخ الذي يريد إقناعنا به بدون أي اقتباس من ذلك العصر؟ ألم يستند في ذلك إلى خيالٍ مشبوه؟

من أجل ضبط مخططه لجعل خديجة (ر) صانعة النبي أمعن خليل بالرفع من مكانتها من جميع الأوجه على حساب ابن عمها ورقة بن نوفل بالدرجة الأولى وعلى حساب عثمان بن الحويرث وقتيلة أخت ورقة بالدرجة الثانية. فلقد ادعى خليل بأن خديجة (ر) كانت ذات ثقافة مميزة فجعلها تستحق أن تُصنَّف في أعلى صفوف صفوة المثقفين في مجتمع قريش (التي يسميها خليل: انتلجنسيا. فهو يقول:

"**وكانت آنذاك في قرية القداسة – مكة – فئة مع قدر معلوم من التجاوز يمكن أن نطلق عليها الأنتلجنسيا هي أكثر أهلها تشبعاً بفكرة القادم الجديد...ومن بين تلك الفئة السيدة خديجة بنت خويلد.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩)

ويتابع:

"**ومن الألقاب التي حلت جيدها = الطاهرة....وليس مصادفة إضفاء ذلك اللقب على خديجة بل لعلة كامنة أو مكنونة وإلا فلماذا لم تلقب بالشريفة أو الكريمة أو**

العفيفة مع أنها تحوزها بجدارة؟ ولماذا هي دون غيرها فازت بهذا اللقب ولم ينفح لامرأة خلافها إن قبل الإسلام أو بعده."[10] (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٠)

ويضيف خليل:

وإمعاناً في الرفع من شأن خديجة (ر) لتبلغ في فكر الناس مكانة تخولها لقب "صانعة أنبياء" استخدم إحدى صفاتها: "الطاهرة" وشرح الكلمة بقوله: "..**ان لقب الطاهرة تضمخ بعبق ديني أو لاهوتي نفاذ، وأن من المستحيل أن تجيئ إضافته في حق خديجة مصادفة أو خبط عشواء."[11]** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٠)

بمنح خديجة (ر) لقب "طاهرة" المضمخ بعبق ديني أراد أن يضفي عليها بعداً لاهوتياً لم تنسبه إلى نفسها ولم ينسبه إليها أي كاتب من كتاب السيرة. ولو كان على حق لكانت الكلمة جديدة على اللغة كلياً كنعتٍ للمرأة. فهل يعقل أن تظهر هذه الكلمة فجأة في اللغة العربية دون أن يرد لها ذكر حتى عصر خديجة (ر)؟ نحن نرى أنه لا يمكن لكلمة "طاهرة" أن تظهر فجأة في اللغة العربية. لقد كانت موجودة وكانت تقترن في معظم

---

[10] - عند آخر كلمة من هذا الاقتباس وضع لنا خليل رقم الحاشية ٦ مما جعلنا نعتقد بأن مضمونها سيثبت لنا أن وصف "الطاهرة" لم تحصل عليه أية امرأة لا قبل الإسلام ولا بعده. ولنقرأ معاً ما جاء في تلك الحاشية:

"(٦) والمطهر عند النصارى هو مكان تطهر فيه النفس بعد الموت بعذاب موقوت. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية." فما هي العلاقة بين شرح كلمة الطهارة وبين الادعاء بأن هذا اللقب لم يُمنح لأية امرأة قبل خديجة أو بعدها؟ ويتابع خليل كلامه على الصفحة ١٠ فيقول:

"وفي المسيحية يبدأ التطهير من الداخل أي من القلب وناشد ابن مريم تبعه أن يحبوا بشدة بعضهم بعضاً من قلب طاهر."

وهنا أيضاً يضع خليل رقم ٧ كحاشية ليضعنا أمام الاعتقاد بأنه سيعطينا المصدر الذي استند إليه أو إنه سيوضح بحاشيته سبباً وجيهاً يبرر به تسمية خديجة فقط بالطاهرة. لكنه خيب ظنوننا لأن شرحه للحاشية جاء كما يلي:

"(٧) القاموس الموجز للكتاب المقدس – مادة – تطهر – الطبعة الثانية ١٩٩٢ م – مكتبة كنيسة الاخوة في مصر."

[11] – خليل، فترة التكوين، صفحة ١٠

استعمالاتها بالمرأة. ولذلك فالادعاء بأن الكلمة لم ترتبط بأية امرأة قبل خديجة هو قول بعيد عن المنطق وعار عن الصحة.

ووصفها خليل أيضاً:

وليست خديجة فتاة غرة طائشة ذات غفلة أو شابة مأفونة قليلة التجربة وتعوزها الخبرة وتنقصها الدربة بل هي سيدة عاقلة لبيبة حازمة في طور الكهولة عركت الحياة أو عركتها الحياة وأنضجت رأيها وعمقت بصيرتها صاحبة حجى موفور وحكمة بالغة..." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٦)

ويضيف إلى ذلك في موضع آخر كونها "**حازمة، رجلة في عزمها وإرادتها قوية الشكيمة.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩) [١٢]

ووصفها أيضاً: "**إن صدور هذا التخطيط المحكم والرسم الدقيق من الطاهرة خديجة ليس عجيباً أو مستغرباً فهي قد عرفت بالحنكة واشتهرت بالعقل وذاع عنها الحزم والدربة واللب.**" (**العقل**)" [١٣]

ووصفها: "**هذه هي السيدة خديجة الارستقراطية ذات الحسب العريق والنسب الرفيع بنت أحد صناديد قريش ومن رهط قوي من الذروة والتي تملك الثروة الممدودة والمال العريض والتجارة الواسعة والمثقفة والتي ساعدت معرفتها بالقراءة والكتابة على مدها بمقومات الثقافة في زمانها والتي سمعت ما ردده الرهبان والأحبار الذين لا بد أنها تعودت الاجتماع بهم فهي برزة**[١٤] **تقابل الرجال الذين يجلسون عندها للحوار والحديث وعلمت منهم منذ سنوات أمر القادم المنتظر وقرأت الصحف والإصحاحات التي ترجمها ابن عمها اللازق إلى اللغة العربية...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٧٧)

ويتابع خليل الرفع من مكانة خديجة بربطها بنفر من النصارى آنذاك فيكتب:

---

[١٢] – وهنا يضع حاشية ظننا أنها توثق كلامه فإذا بنا نجد: "**في الحديث كانت عائشة – ص – رجلة الرأي**."

[١٣] – كلمة عقل أوردها خليل بنفسه تفسيرا لكلمة "لب".

[١٤] ـ هكذا وردت كلمة "برزة" عند خليل.

" ومن ناحية أخرى فإن خديجة كما ذكرنا من الذؤابة العليا من قريش ومن رهط بني أسد وتعد من النخبة التي اتصلت مثل غيرها من طبقتها أحبار اليهود وبرهبان النصارى الذين ما فتئوا يتحدثون عن القادم المنتظر ... وعلى رأسهم بحيرا الراهب وعداس وهو راهب ايضاً...وبالتالي فهي بحثت معهم باستفاضة مسألة القادم المأمول وإرهاصات ظهوره والعلامات التي تومئ بظهوره دون تحديد أو تعيين بيد أنها بما أوتيت من بصيرة ورزقت من فطانة ومنحت من زكانة [؟] تعرفت على المرشح الفرد الذي يصلح أن يغدو هو دون غيره من ناشئة قريش وذلك بعد أن تفرست به جيداً وتمعنت في قسماته المعنوية قبل المادية ومن ثم سعت سعياً حثياً إلى مباعلته وخاضت معركة شرسة حتى ظفرت به ونكحته."[١٥] (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٥)

من أجل إبراز علاقات خديجة (ر) الثقافية المميزة مع هؤلاء كتب لنا خليل:
"شدتها صلة وثيقة وعلاقة حميمة وآصرة متينة برؤوس أهل الكتاب في مكة والحجاز وإذ أنها برزة فالراجح بل المؤكد أنها جالستهم ونشبت بينها وبينهم محاورات قوامها العلم الكتابي مما يزيد ثقافتها الدينية عمقاً بيد أن ثقافتها الكتابية تلك لم ترتفع إلى درجة علمهم." (خليل، فترة التكوين، صفحة١٤٣)

لقد حرص خليل على إبراز صفاتها وعلاقاتها للارتفاع بها إلى أعلى درجات السلم الاجتماعي وذروة الهرم القرشي وجعلها تتفوق "على الثلاثة الآخرين [ورقة وعثمان بن الحويرث وقتيلة أخت ورقة] وبزتهم لأنها امتازت عليهم بخصال وملكات نفسية افتقروا إليها يأتي في مقدمتها استشراف المستقبل والفراسة التي لا تخيب وموهبة الإلهام الصادق وغريزة اختيار المجلى (السابق والفائز) [المقصود محمد، ص] والرهان عليه. (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١)

---

[١٥] – في مواضع كثيرة جداً استخدم خليل كلمة "نكحته" بمعنى تزوجته استناداً إلى أن معنى "عقد نكاح" هو "عقد زواج. ولكننا بالرغم من ذلك نستهجن استخدامه لهذا التعبير لشذوذ وقعه في الأذن حتى ولو كان صحيحاً. وإننا لنتساءل: أليس تعبير "نَكَحَ" وقف على الذكور؟

ولكن لا يجوز لجميع هذه الأوصاف أن تصرفنا عن الانتباه إلى الجملة التالية من خليل: "**بيد أن ثقافتها الكتابية تلك لم ترتفع إلى درجة علمهم.**"

كيف يعلمنا خليل بكونها أقل مرتبة من القس ورقة والراهب عداس والراهب سرجيوس والراهب بحيرى أو نسطور أو سركيس ثم يطلب منا أن نصدق أن امرأة أقل علماً من جميع هؤلاء تتنطع لتجربة كبرى تتضمن تصنيع نبي؟

دعنا نتجاوز نقدنا هذا لنتابع الطريق مع خليل. فبالإضافة إلى المميزات التي سوغت له أن يجعل منها صانعة النبي ادعى إلمامها بالقراءة والكتابة وانطلق من أنه إذا أثبت إلمامها بها تعزز ادعاؤه بأنها مدربة النبي. ولكننا لم نقنع بصحة استنتاجاته التي أطلقها استناداً إلى أدلة خمسة هي:

١ – "**كيف تسنى للطاهرة أن تدير تلك التجارة العريضة وتحاسب الرجال الذين تستخدمهم...لو أنها أمية لا تعرف القراءة والكتابة إلا أماني؟**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢٣)

٢ – **كيف يستسيغ العقل أن قتيلة أو أم قتال..أخت ورقة، إحدى المرتين[١٦] اللتين تعرضتا لأبي محمد وهي بنت عم الطاهرة تعرف القراءة والكتابة في حين أن خديجة وهي أعلى منها مرتبة ...تجهل القراءة والكتابة؟** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢٤)

٣ – **كذلك المرة[١٧] الأخرى فاطة[١٨] الخثعمية التي طلبت من عبد الله بن عبد المطلب أن يفاخذها ...وأغوته كذلك بمنحه مائة من الإبل إن ركب عليها وجامعها[١٩] –**

---

١٦ – يقصد: المرأتين. وقصة ذلك هو أن كتب السيرة تتحدث عن مرور عبد الله بن عبد المطلب، والد محمد (ص) في أحد أحياء مكة فتشاهده قتيلة وترى نوراً غير مألوف في وجهه وتعتقد أنه نور النبوة. فطلبت مضاجعته فرفض ومضى في طريقه ولكنها أمسكت بثوبه ولكنه استمر في طريقه وخذلها. وشاهدته الخثعمية وأرادت مضاجعته ليكون النور من نصيبها فيعتذر ويمضي ليكون اتصاله بآمنة زوجته التي حملت بمحمد (ص). هنا نشير إلى جانب لا يخلو من خبث تعمده خليل من القصة. فكلا المرأتين أرادتا الاضطجاع مع عبد الله بالرغم من عدم زواجه من أي منهن. وكلا المرأتين تقرآن وتكتبان وهما من انتلجنسيا قريش. وخليل يستخدم إسميهما معاً على أنهن قريبات خديجة أو قريبات من خديجة (ر).

١٧ – يستخدم كلمة "مرة" عوضاً عن "امرأة"

هذه امرأة كانت تقرأ وتكتب. فأنى يدخل العقل أن هذه الخثعمية التي تتكسب من العيافة والكهانة تقرأ وتكتب وسيدة نساء الأرض تجهلها؟" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢٤)

٤ – "**حازت خديجة لقبين لم تحظ بهما واحدة من قريش قبلها أو بعدها. أولهما سيدة قريش وآخرهما سيدة نسون**[٢٠] **قريش. فهل يجوز أن تتسيد نسوة قريش ورجال قريش جميعهم** [امرأة] **أمية لا تعرف القراءة والكتابة؟**

٥ – يجد خليل سبباً خامساً لكونها تقرأ وتكتب من خلال سرده بكلماته الخاصة المبنية على قناعته لواقعة لقاء محمد (ص) بجبريل الذي "**ظهر له في غار حراء...ورجع إلى الطاهرة**[٢١] **ترجف بوادره وقد اعتبرتها هي ختم التصديق على نجاح التجربة...وأرادت أن تتأكد وتستوثق من حدسها فتوجهت إلى ابن عمها ورقة ثم إلى عداس ... وقصت عليهما تفاصيل الحادثة فبشراها بفلج التجربة** [نجاحها] **ولكن لم يواتها الحظ بوجود الضلع الثالث وهو بحيرا الراهب في مكة حتى تخبره ثم تزداد وثوقاً منه لأنه سافر إلى الشام فاضطرت سيدة نسون قريش إلى الكتابة إليه...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢٤ – ١٢٥)

نحن نرى ضعفاً جذرياً في بناء ادعائه على الأدلة الخمسة المذكورة. ولو بحثنا الموضوع بذات المنطق لما تشكلت لدينا أية قناعة بإلمام خديجة (ر) بالقراءة والكتابة وخاصة بعد أن بحثنا في كل المراجع التي طالتها يدنا عن نص واضح يدل على أنها تقرأ وتكتب بل وتحفظ الأسفار (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٠ و ١٢) فلم نجد مؤشراً واحداً يتحدث عن مثل ذلك. وكل من تحدث عنها أو تعرض لاسمها في كل سير النبوة وفي أية مراجع قديمة أخرى من الحجاز أو اليمن أو من بلاد الغساسنة والمناذرة أو بيزنطة أو الحبشة لم يُشر إلى أي نشاط ثقافي لها ولا إلى أية رسالة كُتبت بيدها.[٢٢]

---

[١٨] – هل ثمة خطأ مطبعي هنا؟ هل قصد :"فاطمة"؟

[١٩] – ما هذا المستوى في كتابة خليل؟ ماذا خطر بباله عندما استخدم كلمة "ركب عليها" كناية عن وصالها أو مضاجعتها؟

[٢٠] – هكذا وردت في مواقع عديدة من كتاب خليل. وفي مواقع أخرى كتب: "نسوان

[٢٢] ـ كتب إلينا الأخ الزميل أحمد عمران الزاوي حول هذه النقطة ما يلي:

أما عن أن قتيلة والخثعمية ألمتا بالقراءة والكتابة فلا يمكن اتخاذه دليلاً على أن خديجة (ر) تلم بها. فكم من عائلة فيها عدد من الأولاد والبنات نجد متعلماً واحداً فقط بينما الباقي أميون. والمثير في كلامه عن قتيلة والخثعمية أن كتب السيرة أشارت ولو بجملة يتيمة غير جازمة إلى أن السيدتين كانتا متعلمتين. فقد كتب البلاذري عن قتيلة مثلاً: "**اخت ورقة قتيلة بنت نوفل كانت تنظر في الكتب.**" [٢٣] بينما لم تذكر أية سيرة عن خديجة (ر) مثل ذلك. والقول بأنها كتبت رسالة إلى بحيرا لا يعني أنها تجيد القراءة أو الكتابة. فتوجيه رسالة منها إلى أحد لا يفيد بالضرورة أنها كتبتها بيدها وإنما يعني في هذه الحالة أنها أوعزت إلى أحدهم أو إحداهن بكتابة رسالة إليه. ونجد أن خليلاً بنفسه شكك بصحة إلمامها بالقراءة والكتابة عندما كتب:

"**وفيما تقدم اتخذنا من كتابة أم هند لبحيرا قرينة قوية على إجادتها الكتابة والقراءة ولم نقل دليلاً قاطعاً.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٣٢)

وزواجها في عمر الثالثة عشرة وولادة أطفالها في الأجواء الاجتماعية السائدة في مكة آنذاك لا يوحي مطلقاً بأنها سلكت طريق العلم والبحث عن المعرفة لتصبح عضوة بارزة في ندوة انتلجنسيا قريش.

ومن المعروف أن من يعمل بالتجارة كخديجة (ر) تتجه اهتماماته إلى المال والاقتصاد وليس إلى الفكر.

ولو كانت تحسن الكتابة لكتبت بيدها نصوص الوحي ولما احتاج الأمر إلى الكتبة الذين سماهم البلاذري في الجزء الأول من : "**أنساب الأشراف**" بالإسم دون أن يكون بينهم إسم خديجة (صفحة ٦٢٢) .

"بالنسبة إلى تعليم السيدة خديجة:

آ – لم تذكر بنت الشاطئ في كتابها "نساء النبي" شيئاً عن ذلك.

ب – كذلك الميسرة الإسلامية.

ج – والكامل لابن الأثيرتحدث عنها في أكثر من خمس وعشرين صفحة متفرقة، فلم يُطر بها جميعاً أن خديجة كانت متعلمة.

[٢٣] - البلاذري – أنساب الأشراف ج ١ ص ٧٩. تحدثنا عن جمل "غير جازمة" لأن جملة البلاذري لا تنص بوضوح كلي عن إلمامها بالقراءة والكتابة.

ولو انطلقنا جدلاً من تمكنها من الكتابة والقراءة فلماذا لا نجد أي ذكرٍ أو مؤشر بسيط يفيد أنها ساعدت ابن عمها ورقة في صياغة ما ترجمه لبعض أسفار الإنجيل العبراني؟ لماذا لم يأت أي ذكر لأي إنسان عاصر محمداً (ص) بأن خديجة دوَّنت آية من آيات القرآن؟ حتى الكاتبان المسيحيان أبو موسى الحريري ويوسف درة الحداد لم يذكرا أية كلمة تسعى ولو بحياء وتواضع إلى توثيق إلمامها بالقراءة والكتابة. إن مكانة خديجة (ر) لدى جميع المسلمين الأوائل ولدى كتاب السيرة رفيعة حقاً جعلهم يكتبون عنها بكل إيجابية مؤكدين على ارتفاع شأنها. لكن أحداً منهم لم يذكر قصيدةً من نظمها أو نصا من سبكها أو خبراً عن أي نشاط ثقافي لها. ولو كانت تقرأ وتكتب لذكروا ذلك للرفع من شأنها بمثل هذا الكلام.

هذا ولقد قرأنا في بعض المراجع أن عدد من يجيد القراءة والكتابة في قريش أيام ظهور الرسالة بلغ سبعة عشر نفراً محددة بالاسم لا يوجد بينها اسم خديجة (ر). فالمؤرخ الإمام البلاذري كتب:

" والعرب في أم القرى وما حولها كانت أميّة لا تقرأ ولا تكتب وقد نشأ النبي بينهم ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام البلاذري في " فتوح البلدان " حيث أتى باسماء الذين كانوا عارفين بالقراءة والكتابة في مكة فما تجاوزت سبعة عشر رجلاً في مكة وأحد عشر نفراً في يثرب." [٢٤]

فهل كان أربعة منهم من عائلة واحدة بينما توزع الباقي على كل سكان مكة؟

وعندما تَسلَّحَ خليل بالحجة القائلة بأنها كتاجرة ناجحة يجب أن تكون متعلمة فلا يعتبر إثباتاً كافياً. فلو كان الأمر كذلك لاستنتجنا أن معظم تجار مكة كانوا يقرأون ويكتبون. وهذا خطأ. فكم من تاجر من تجار ذلك العهد المعروفين كانوا لا يقرأون ولا يكتبون؟ وكيف اختارت فيما بعد لتجارتها رجلاً أمياً لا يكتب ولا يقرأ إن كانت التجارة تشترط الإلمام بها؟

---

[٢٤] - معجم البلدان للبلاذري، البحث في المعجم عند كلمتي: مكة ويثرب.

صحيح أن خليل كتب: "**وقريش كما أخبرنا المؤرخون قوم تجار. ومن ليس تاجراً منهم فهو لا شيء.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥١) ولكننا لو انطلقنا من هذا المنطلق وسحبنا القرائن التي أوردها لإثبات إلمام خديجة بالقراءة على سكان مكة عموماً وقريش خصوصاً لوجدنا أن معظم رجالات قريش يقرأون ويكتبون. وإذا كان القرشيون متعلمين فلن يقتصر ذلك عليهم لأن غير القرشيين يدركون أيضاً فوائد العلم ويحذون حذوهم. وإن صح ذلك تصبح أكثرية سكان مكة متعلمين. وهذا لا يتفق مع المعلومات الشائعة عن ذلك العهد ولا مع كلام خليل نفسه حين كتب:

"**لم تقف أميّة (أبي ابراهيم)** [محمد، ص] **حجر عثرة في طريقه ولا عائقاً أمامه ولا سداً في وجهه فقد تسابق معاونوه – الذين مكنتهم ظروفهم من الإفلات من الأمية التي هيمنت على مجتمع قرية القداسة – في كتابة ما يمليه عليهم.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٧) إذن فالأمية، حسب خليل ذاته، هي التي هيمنت على مكة! والبلاذري حدد عدد المتعلمين في مكة بسبعة عشر نفراً.

نعود إلى خديجة (ر) لنقول: لو جمعنا الصفات الخُلُقية والمواصفات الخَلْقية التي رصدها خليل لخديجة (ر) لوجدناها أعلى شأناً من أي إنسان على وجه البسيطة. ولذلك نسأل: لماذا لم تنسب النبوة إلى نفسها بدلاً من أن تعطي علمها إلى محمد (ص)؟ وأين هي القرائن، مهما قلّ حجمها، التي تتحدث عن صفات النبوة لديها قبل أن يكتب عنها كتّاب السيرة ما كتبوه بعد زواجها من محمد (ص)؟ إني أطرح السؤال وسوف أجيب عليه بشكل قاطع في كل مراحل هذا الكتاب. وسوف أختار المقولات الأساسية التي استند خليل إليها وبنى بناءه عليها ثم أُبْرِزُ التناقضات بينها من جهة وبين واقع الأمور من جهة أخرى. أما الإجابة الشافية والشاملة على آرائه المشبوهة فهي بارزة في كل حجة أورَدْتُها في فصول كتابي في مواجهة الحداد والحريري: "**القرآن ليس دعوة نصرانية**". إن مضمون كتابي هذا جزء لا يتجزأ من الكتاب الآخر. فالواحد يكمل الآخر.

آ - **اختيارها لمحمد (ص)**

لنتجاوز السبب الذي منعها من ادعاء النبوة لنتساءل: ما هي العوامل التي دفعتها لترشحه للنبوة دون غيره؟

تكمن أهمية الجواب في توفر نوعين من الدوافع. الأول هو خاص بها كامرأة فاضلة التقت به في علاقة عمل فأعجبت به وبكل التفاصيل التي أحاطت به ورغبت بالزواج منه. والثاني هو أنها بسعيها للزواج منه كانت تنفذ أوامر أو تعليمات من مرجعية عليا. الدافع الأول شخصيّ بينما الدافع الثاني رساليّ ...وكأنها بسعيها للزواج منه تنفذ رسالة عليا. ولذلك نناقش على الصفحات التالية هذه النقطة مع ما يحيط بها من دلائل واستنتاجات.

يقول خليل: "**من هنا فإننا نؤكد إن اختيار (المنصور بالرعب)** [٢٥] **لا يؤوب لأمانته فقط – بداهة أن أمانته لا ينتطح فيها عنزان – بل لأنه المرشح الأوحد للنكاح.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥١)

وفي موضع آخر أعلمنا خليل بأن "**ترجيح ترشيحه من طرف سيدة نسون قريش كيما يغدو (القادم المنتظر)** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٣)

إن التعبيرين "رشحته" و "رجحته" يفيدان بوجود عدد من المرشحين المطروحين على بساط الانتخاب. وإن كان في الأمر انتخاب فلماذا يعتبره خليل المرشح الأوحد إن كان يعترف بوجود شبان قرشيين كثيرين لديهم كل المزايا التي يراها في محمد ويزيد عليها كونهم أثرياء؟

ألم يسأل خليل: "**لماذا نكحت (المعصوم) دون غيره مَن فتيان قريش الذين هم مثله يفيضون شباباً وفحالةً وبهاءً ولماذا لم ترسل لأحدهم دسيساً لخطبته أو لجس نبضه**

---

[٢٥] - المقصود محمد. ولم ندرك السبب الذي دفع خليلاً إلى استخدامه لهذا التعبير دون أن يوضح قصده. ولقد رأينا أنه عندما استخدم كلمة بلسم وضع حاشية قائمة بذاتها لشرح البلسم الذي لا نعتقد بكونه سراً لغوياً. أما هنا فتركنا في جهلنا بما أراد أن يقول.

ولماذا كما فعلت مع (سيد الخلق) لم تتقدم إلى أحد أولئك الشباب المملوئين قوة وقسامة وتقول له إني رغبت فيك؟" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٧)

ألم يطرح خليل قولاً أعنف وأوقح حين كتب:

"في موضع آخر فندنا الرأي الفطير الذي ألمح إليه في جبن وخساسة ودهاء بعض كتبة السيرة المحدثين من أن سر اختيار خديجة لـ(الصادق المصدوق) هو إعجابها بشبابه وقسامته ووسامته وقوة عضلاته وفحالته وفتوته وهي الصفات التي تأخذ بلب الكهلات والشهلات مثلها. ونضيف إلى توهين هذا الرأي وتهزيله وإضعافه دليلاً آخر بخلاف ما سبق لنا أن طرحناه وهو: أن قريش الظواهر والأباطح عجت آنذاك بالشباب الذين يتملكون تلك الصفات ويتمتعون بذات الخصائص ومنهم من انتمى إلى بطون الذروة مثل: بني عبد الدار وبني مخزوم وبني أسد (رهطها) وبني أمية وبني زهرة ومن هؤلاء من لا يقل عن بني هاشم مكانة في ذياك الزمان لأن هؤلاء لم يتسنموا القمة إلا بعد ظهور أمر محمد وصيرورته (سيد ولد آدم). فلماذا لم تختر من أولئك واحداً إذا كان القصد هو التمتع بالفحولة والفتوة وقوة العضلات وطلاقة المحيا مع الوضع في الحسبان أن من بين هؤلاء من هو أغنى من (الأمين المأمون) (راعي الغنم – الفقير – اليتيم). (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٩)

هل رغبت خديجة (ر) به لمقدرتها على صنع نبي من أي رجل يتمتع بتلك الصفات المتميزة أم لأن صفات محمد (ص) لا مثيل لها بين باقي الخلق ولأنه مرصود حصراً لهذا الدور؟ فإن كانت متمكنة من صنع الأنبياء فكان هناك شباب قرشيون كثيرين. أما إن اختارته بالذات لاقتناعها بأنه النبي المنتظر فكل ادعاءات خليل التي حاول من خلالها إثبات أن محمداً هو مجرد "صنيعة" لخديجة أو لورقة تسقط وتصبح باطلاً صرفاً. فالنبي لا يحتاج إلى من يلمعه تلميعاً، وقرار النبوة لا تصنعه خديجة ولا ورقة!

يشير الاقتباس التالي الذي أورده خليل والمسند بشكل صحيح إلى كتب السيرة بانه يتبنى فكرة وجود مرجعية دينية دفعتها للزواج من محمد. فهو يقول (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨):

"إن مرجعية دينية ذات مقام محمود ورتبة عالية ودرجة رفيعة لدى خديجة أشارت عليها بأن هذا الفتى هو (المأمول) وأنه حتم لازم أن تباعله لكي تبدأ معه تجربة التأهيل والإعداد والتصنيع والتحضير والصقل والتهيئة الضرورية كيما ينتقل من فتى قرشي هاشمي إلى القادم المنتظر. (قالت خديجة لمحمد قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرى الراهب أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين عاماً.) (السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، صفحة ٤٠٧)

إذن فهي تعرف بموضوع محمد وضرورة الزواج منه منذ عشرين سنة!! وخليل يدعم هذا الرأي عندما كتب:

"استقر في بؤبؤ عين يقين خديجة أن محمداً (هو) أي القادم المنتظر"

"صفوة أهل مكة توقعوا ظهور (القادم الجديد) أو النبي المنتظر ومنهم السيدة خديجة"..."ابنة وهب لدة لأم هند وكلاهما من قريش"..."الطاهرة هنأت أم محمد بوليدها."[٢٦] (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٥)

وقد سمعت خديجة (ر) من ورقة بظهور النبي قريباً. وكذلك قتيلة أخت ورقة عرفت من أخيها بالأمر وكانت إحدى امرأتين شاهدتا وعاينتا نور النبوة على جبين عبد الله بن عبد المطلب وحاولتا مضاجعته كما رأينا ليتسنى لأي منهما أن تصبح أم النبي ففشلت. وبذلك تترسخ الصورة التالية:

- قتيلة وخديجة عرفتا من مرجع مشترك بقرب ظهور النبي.
- على جبين عبد الله بدا نور النبوة.

---

[٢٦] - لم نجد أي توثيق في أي مرجع قديم لأن خديجة هنأت آمنة، أم محمد، بوليدها.

- شاهدت قتيلة نور النبوة وأدركت أن عبد الله يحمل في صلبه نواة النبوة. وخديجة عرفت أيضاً بالأمر. وقد عرفتا بذلك من ورقة قبل أن تحمل به آمنة[٢٧]. وورقة هو شقيق إحداهن وابن عم الثانية.
- أما قتيلة فحاولت نقل النور إلى أحشائها فنبذها عبد الله. وأما خديجة فلم تسعَ إلى ذلك.

فإذا كانت خديجة تعلم علم اليقين بأن ابن عبد الله سيكون النبي المقبل تسقط كل جهود خليل في إبراز حرص خديجة على مراقبة محمد بعد ولادته لتتحقق من أنه النبي المنتظر.

ننتقل الآن إلى فكرة أراد خليل ترسيخها لدينا بأن خديجة (ر) أقبلت على فكرة الزواج من محمد حسب تخطيط مسبق انطلاقاً من علمها بأنها أكبر من أمه وأنه سيكون لها مطواعاً لكونها أكبر من أمه بقوله:

"**اختارت الزوج الابن لكي تتلقى منه الحب والمطاوعة معاً.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠)

إن اختيارها له كرجل وزوج واقع لا يحتاج إلى أي دليل أو توثيق. أما أنها احتاجت إليه ليصبح مطواعاً لغايات في فكرها فهذا هو التزييف المرير الذي لا يوجد له أي قرينة تثبته.

ويشير خليل إلى أن خديجة عندما اتخذت قرار الزواج منه أو عندما تلقت أوامر من مرجعية كبرى أن تتزوجه كرست نفسها لهذا الزواج المصيري و "**قدَّمت ما يفوق طاقة البشر لتنكحه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٨)

فإن كانت بذلت ما يفوق طاقة البشر لتتزوجه فلا بد أنها واجهت معارضة عنيفة قبل أن تنجح. فأين الحقيقة؟

---

[٢٧] - يوجد ضعف في الفرضية بأن ورقة أخبر أخته وابنة عمه بولادة النبي المنتظر عما قريب لأنه كان آنذاك غارقا في الوثنية ولم يكن قد قرأ الكتب ولا ترجم منها شيئا لأن رحلته للبحث عن دين ابراهيم (ع.س) بدأت بعد ولادة محمد (ص).

"**إن أم هند شد انتباهها (الأنوار / المتجرد) [محمد، ص.] منذ علقت به أمه من أبيه عبد الله ثم وضعته تحت الرقابة الشاملة منذ أشار عليها الراهب بحيرا (المرجعية الكبرى) بلزوم نكاحه وضرورة مباعلته وفرض الزواج منه إذ من غير المعقول أن تصرف نظرها عن الشخص الذي سوف تصير له بعلاً بل لا بد وبطريق الحتم واللزوم أن تحيط بكل صغيرة وكبيرة عنه..**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٤)

يؤكد خليل أنها عرفت أن عليها أن تباعله وأنها لهذا السبب لم تصرف نظرها عنه منذ ذلك الوقت المبكر. ونشير مع الاستغراب والاستهجان الشديدين إلى ادعاء خليل بأن بحيرا "**فرضَ**" عليها الزواج من محمد (ص). ولكن المرجعية الرفيعة، بحيرا، لم يتنبأ بنبوة محمد إلا بعد أن التقى به خلال رحلته مع عمه أبو طالب وهو في التاسعة من العمر مما يبرهن على وجود اختلالٍ في استنتاج خليل. فكون خديجة قررت "استملاك" محمد (ص) منذ "**علقت به أمه من أبيه**" يجعلها لا تتأثر بمقولة ينطق بها بحيرا الذي لم يشاهد محمداً (ص) إلا بعد تسع سنين من ولادته ولا بكلام يطلقه عداس. وهذا الاستنتاج يؤدي بنا إلى استنتاج مهم آخر: فلو كانت خديجة (ر) صانعة النبي كما يدعى خليل لما كان ثمة ضرورة لأن تتصل ببحيرا أو بعداس أو بأي إنسان آخر للاستئناس بآرائهم في محمد (ص) وإنما لذهبت إليهم من موقف رفيعٍ فوقيّ قائلة لهم: ها هو النبي المنبثق عن التجربة الكبرى التي قَرَّرْتُ تطبيقها وتنفيذها.

وثمة صورة شديدة الشذوذ نتجت عن الاستشهاد السابق عندما كتب خليل: "**من غير المعقول أن تصرف نظرها عن الشخص الذي سوف تصير له بعلاً**" فهل وضع خليل في الحسبان أن خديجة كانت على عصمة زوجها ذات أولاد في تلك اللحظة. فهل علمت منذ ذلك الوقت بأن زوجها الأول سيموت وأن زوجها الثاني سيغادرها دون طلاق فقررت تهيئة نفسها للزواج من كائن لم تلده أمه بعد؟ إلى أين وصل بخليل خياله الخصب الحاقد؟

نتابع مع خليل قوله:

"**وعندما اختارت خديجة الزوج الابن أو الابن الزوج لم تتخير أي (زوج ابن) أو أي (ابن زوج) فهذا من المحال في حق سيدة نسوان قريش بل اختارته بعناية دقيقة أشد**

الدقة وانتقته بأعمق الانتقاء إذ ظلت تلاحظه لمدة عشرين عاماً. هذا في معتقدنا أو لمدة ربع قرن كما تذهب إليه الأكثرية دون تمحيص. لقد طفقت تتلقى أخباره قبل أن ترى عيناه الكريمتان نور الدنيا...واستمرت تتابع معجزاته منذ الحمل حتى رحلة الشام مع عبدها ميسرة وهنا تيقنت أنه هو هو وليس آتياً بعده أحد...

فحينئذ تحركت بكل ثقلها لكي تنكحه (تتزوجه) خاصة وأن هناك أمراً قديماً قد صدر لها من مرجعية رفيعة المقام لكي تفعل وفعلت ونفذت الأمر...." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠)

هنا يخطر في البال سؤال: هل من الضروري أن تتزوج خديجة محمداً (ص) لتتمكن من تصنيعه نبياً وهل من المناسب أن تكون صانعة الأنبياء متزوجة من مرشحها للنبوة؟

ويقول خليل: "**فالطاهرة من دونهم لم تنتظر القادم الجديد فحسب بل فلت مجتمع مكة وخاصة شبابه ودققت النظر في قوادمه وخوافيه وحدقت في حناياه ولم تتعجل أو تتسرع وصبرت سنوات طويلة قاربت الربع قرن حتى اهتدت إليه: إلى القادم الجديد وبمعنى أدق إلى من يصلح لذلك. وهنا ضربت عرض الحائط بالتقاليد الرواسخ رسوخ الجبال بل وحطمتها فقدمت نفسها إليه ومدت هي يدها إليه ولم تعبأ بفارق السن والمال حتى إذا تشيأ الحلم على الأرض وتحول إلى واقع انتقلت من مرحلة الفرز والتجنيب والسبر والاختبار إلى مرحلة الإعداد والشحن والإمداد والتعبئة والتهيئة واستغرقت تلك المرحلة من عمرها المبارك خمس عشرة سنة قدمت فيها تضحيات جسيمة من المال والنفس والبدن حتى أثمرت الشجرة وطرحت أكلها الحلو وآن للطاهرة أن تعلن لأهل مكة: هاكم القادم الجديد الذي طال انتظاركم له وشوقكم إليه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١)

نرى ضعفاً وتناقضاً في هذا الكلام! فكيف يقتضي الأمر من خديجة أن " تفلّي وتدقق وتحدق بالقوادم والخوافي " على مدى ربع قرن لتتحقق من أنها في صدد الرجل المطلوب إن كانت قد عرفت بالمنتظر منذ كان جنيناً في بطن أمه؟ لقد عرفت خديجة، حسب قناعة خليل، بأن بطن آمنة سيحمل الوليد الذي سيصير الرجل الذي هي بصدده.

ومعرفتها لذلك، كما يعلمنا خليل، لاهوتية ذات عبق ديني. ولذلك لا يمكن أن تستند إلى كونها صاحبة فراسة وإلهام سابق واستشراف المستقبل. وإضافة لذلك كانت تعرف بهذا الأمر من ابن عمها ورقة الذي أعلمها كما أعلم أخته قتيلة بالخبر. فلماذا تحَمَّلَ منها فحص محمد (ص) ربع قرن من الزمان، ولماذا أخذت قرار اتخاذه زوجاً بسرعة كلية ونفذت خطتها على عجل خلال حوالي الشهرين؟

نود أن نكرر الكلمات الأولى من استشهادنا الأخير من خليل حيث كتب: "**فالطاهرة من دونهم لم تنتظر القادم الجديد فحسب..**" لنتساءل: كيف انتظرته وقد تزوجت من اثنين قبله وولدت لهما أولاداً؟

ونعود إلى فكرة خليل حيث أعلمنا بأن خديجة (ر) دققت وفحصت وتمحصت محمداً (ص). ففي سياق ادعائه أتى خليل باقتباسات تبدو لتثبت أن محمداً (ص) عمل لدى خديجة مرتين بذهابه في قافلة تجارية إلى سوق حباشة. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٢) ويستنتج أن خديجة (ر) كانت على اتصال بمحمد (ص) منذ ما قبل رحلة الشام. ويبني على استنتاجه هذا أن استمرار علاقة خديجة (ر) ومحمد (ص) مكّنَها من التأثير على مصيره ودفعه إلى طريق النبوة. لكن هذه الصورة لا تستقيم مع الفكرة التي اراد إقناعنا بها من قبل بأن خديجة (ر) كانت تعلم بأمر النبي القادم منذ حَمْلِ آمنة به. فمن يعلمْ علماً جازماً بأمر لا يلجأ إلى التحديق والتحقق والتفحص من صحة الأمر، هذا من جهة. ومن يولد نبياً لا يحتاج لإنسانة عادية مهما ارتفع شأنها ومهما كانت صفاتها الخلقية والمادية لتلقنه مضامين ديانة جديدة. ومن يولد نبياً لا يمكن لأحد أن يضعه تحت المجهر ولا يحتاج إلى أحد من البشر ليلقنه مضمون نبوته كما ادعى خليل عندما كتب: "**والطاهرة وقد وضعت (المعصوم) تحت المجهر وعلمت الكبيرة والصغيرة من شأنه..**". (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥٧)

وثمة تنافر آخر جدير بالذكر في قناعات خليل. ففي مطلع كتابه ينتقد بقوة تسرع ورقة بن نوفل في خديجة لاستيعاب محمد (ص). فهو يقول: "**أما ورقة بن نوفل أو القس فلم يكن دوره جانبياً كما قد يتبادر إلى الذهن، صحيح أن ابنة عمه قد استعملته كأحد العوامل الفاعلة في تحقيق الهدف الذي تغيته بيد أن ذلك لا يعني أنه كان ألعوبة في**

يدها....ولكنه على نقيض سيدة قريش كان متسرعاً عجولاً وكثيراً ما كان يصرح: متى يا خديجة؟ لقد طال صبري." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢)

لطيف هو السؤال الذي أكثر ورقة طرحه على خديجة حيث يستعجلها إظهار النبي "الذي تُصنّعه". ويبدو للقارئ أن خليلاً كان معهما لأنه لا يوجد أي مرجع يشير إلى مثل هذا القول المختلق.

وبعد صفحتين كتب خليل متذمراً من تسرع ورقة:

" **ونظراً لتلك الصلة الوثقى** [بين ورقة وخديجة] **فقد كان على إحاطة تامة بأدوار الترقي والصعود من درجة إلى درجة ولا بأس من تقديم النصيحة وطرح المشورة وإعطاء الرأي السديد ونفح الفكرة الحكيمة. إذن كان هو على علم دقيق بمجريات التجربة وتفصيلات مسيرتها ودقائق خطواتها – إنما الذي كان يعيبه أنه كان عجولاً يتسرع قطف الثمرة قبل نضجها بل قبل بدوها بعكس الطاهرة فقد كانت متأنية رفيقة صبورة...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٤) ومقابل هذا الاستنتاج نقرأ قناعة معاكسة تماماً لدى خليل عندما كتب متبنياً وجهة طه حسين. فعن ذلك كتب خليل: "**ولقد أحسن العميد** [طه حسين] **وأجاد في تصوير موقف اليعسوب** [ورقة بن نوفل] **من أمر الزواج، زواج (المتضرع في الدعاء)** [محمد (ص)] **من الطاهرة. فهو نصحها بالتلطف في تدبير أمرها.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٧٨)

يثبت هذان الاقتباسان انقلاب دَوْرَيْ ورقة وخديجة إلى العكس تماماً. فالمتأنية في أول الكتاب أصبحت متسرعة في وسطه بينما انقلب تسرع ورقة إلى تأنٍ.

وفي معرض حديثنا عن خديجة (ر) وورقة نطرح الفكرة التالية:

الكاتبان المسيحيان الحداد والحريري (الأب جوزيف قزي) يبرزان ورقة بن نوفل كصانعٍ للنبي ويتركان لخديجة (ر) دوراً صغيراً جداً في نجاح مخطط "تصنيع" النبي. أما خليل عبد الكريم فيعطي الأولوية الجارفة لخديجة (ر) ويمنح ورقة نصيباً أكبر من النصيب الذي أعطاه الحداد والقزي لخديجة. والأمر لدينا سيان. لكن السؤال الذي يجب أن يُطرح هو:

بما أن القس ورقة بن نوفل وخديجة من عظماء العصر الذي ظهرت فيه الدعوة، وبما أن كليهما ضليع في العلم والمعرفة والفكر والدين. وكلاهما كان قارئاً كاتباً يمثل قمة الانتلجنسيا القرشية في مكة، وبما أن الإسلام، حسب ادعائهم الساذج، هو نصرانيتهما فلماذا لم يلتف واحدهما على الآخر فيوحدا طاقتيهما الفريدتين وهما في عمر الشباب وفي قمة الفاعلية والعطاء؟ لماذا انتظرا ولادة طفلٍ لم تَلدْهُ أمه بعد لِيِّن العريكة يمكن التأثير فيه وعليه ؟ هل وضعا في الحسبان أن الطفل قد لا يولد أو قد يتوفاه الله؟ هل قدَّرا أن اتصاف محمد (ص) بلين العريكة يجعله عرضة لتأثيرات يمارسها عليه آخرون؟ إن نعت إنسان بأنه "**مسالم لين العريكة لا يناوئ ولا يشاكس**" لا ينسجم مع امكانية قلبه إلى رجل صلب ذي شخصية جبارة من خلال عمليات تدريب. فلماذا جازفا بإخفاء الثورة الحضارية الدينية التي يدعي بعض الجهلة أنها كانت بحوزتهم ولم يُعْلنا عنها بطرحها في صفوف المجتمع البشري المتعطش للاصلاح؟ لماذا لم ينشئا حولهما حلقة للتدريس؟ لماذا لم يتحد الألمعي مع الألمعية لتستضيء ببريقهما الأرض؟ إننا بلهجتنا هذه لا نقصد الإساءة إلى أي منهما وإنما نبرز الانحراف في آراء خليل.

والسؤال الذي يفرض نفسه أيضاً على الفور هو:

هل يوجد عاقل على ظهر البسيطة يقنع بأن هاتين الشخصيتين صنعتا محمداً (ص) أم أن الأقرب لكل منطق بأن شخصية محمد (ص) هي التي وضعت الجميع في الظل وحددت للجميع الطريق القويم؟

من أبرز ما يثبت الاختلال في منطق خليل عبد الكريم تناقض ارتكبه عندما أشار بإسهاب إلى أن الشاعر أمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل كلاهما كان يسعى ليكون النبي المنتظر. ويعقب على قوله بالكلام التالي:

بيد أن الذي لا مشاحة فيه أن كلاً من القس ورقة وأمية لم يتمتع بالشخصية الكارزمية التي تهيمن من النظرة الأولى على المحيطين بها وتحولهم إلى تابعين أمناء لتلك الشخصية مثل (سعيد) الذي تحدثنا سيرته التي هي أطيب ريحاً من العود الصنفى كيف أن الرجل من أولئك وهو صنديد وسيد مطاع في عشيرته ما إن يقابله حتى يستحيل إلى تابع مطيع ومسود سلس القياد. " (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩)

يلقي خليل بذلك كلاماً أوضح من نور الشمس على شخصية محمد (ص) الآسرة من كل منطلق يخطر في بال إنسان. إنه يشرح لنا بأن شخصيات شديدة البروز ورفيعة الشأن في قمة السلم الاجتماعي القرشي كانت إذا وقعت أعينها على عيون محمد (ص) يستحيلون إلى تابعين مطيعين سلسي القياد. إن صفات كهذه تأتي بالفطرة وترافق الإنسان منذ أن تلده أمه ولا يمكن أن ينفثها أحد في شخصية أحد. ويعترف خليل وغيره بأن هذه الصفات لم تكن تتوفر في شخصية خديجة (ر) ولا في شخصية ورقة. فهو يكتب :

"**إن هناك من توسم في نفسه أن يغدو هو القادم المنتظر مثل أمية بن أبي الصلت والقس ورقة وأن الأخير عندما تيقن أنه لا يصلح لافتقاره إلى الصفات الجوهرية اللازمة اقتنع بحسن اختيار الطاهرة وساهم معها في التجربة الفذة وهي صناعة القادم المبارك....**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩٣)

لكن منطق الأمور يفيد بأن من يفتقر إلى صفة لا يستطيع إضفاءها على الغير. ففاقد الشيء لا يعطيه.

فهل ينسجم اعتراف خليل بصحة هذا الوصف الكامل الشامل لشخصية محمد (ص) مع أن يكون محمد (ص) خامة طيعة في يد القس أو في يد خديجة؟ ألم يكن ورقة وغيره وخديجة ذاتها (ر) ممن انبهروا بشخصية محمد الفذة (ص) التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية فخشعوا واعترفوا؟

أشار خليل في أكثر من موضع من كتابه إلى دور ورقة في إعلامها عن النبي المنتظر وأعلمنا بأن ورقة أعطاها الأسفار التي قرأتها واستوعبتها وقررت نقل معارفها العظيمة إلى محمد (ص) ليرفعها عالياً كأساس للدين الجديد. ولكن ورقة كان وثنياً عندما ولد محمدا!! ولإثبات وثنيته نأتي بالاقتباسات التالية المأخوذة من أمهات الكتب:

"**حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فلم يلبث أن**

انقلب انقلابا عنيفا فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك فقال عثمان بن الحويرث: ماله قد أكثر التنكس إن هذا لأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول أيا صنم العيد الذي صف حوله صناديد وفد من بعيد ومن قريب تنكست مغلوبا فما ذاك قل لنا أذاك سفيه أم تنكست للعتب فإن كان من ذنب أتينا فإننا نبوء بإقرار ونلوي عن الذنب وإن كنت مغلوبا ونكست صاغرا فما أنت في الأوثان بالسيد الرب..."[28] (البداية والنهاية، ج ٢ ص: ٣٤٠)

نستنتج من هذا التوثيق أن قناعة ورقة بالوثنية تزعزعت يوم ولادة محمد (ص) أي بعد مضي ستين عاماً من عمره.

وفي السيرة الحلبية صفحة ١١٦ من الجزء الأول نقرأ عن انقلاب الصنم ليلة ولادة محمد (ص):

"وذكر أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون إلى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكساً على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب انقلاباً عنيفاً فردوه فانقلب كذلك الثالثة..."

ونقرأ في موضع آخر من السيرة الحلبية، ج ١ صفحة ٢٠٢:

"أن زيد بن عمرو هذا هو رابع أربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الأوثان والميتة وما يذبح للأوثان كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم فما حجر تطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم

---

[28] – وجاء الحديث عن هذه الواقعة في ابن كثير ج ١ صفحة ٣٥٥ – ٣٥٨ مع ملاحظة وجود أربعة أبيات شعرية قالها عثمان بن الحويرث في السخرية من الصنم والأصنام. انظر أيضاً توثيقاً آخر لدى الزرقاني ج ٥ صفحة ٢٤٣ – ٢٤٤، وفي ابن عساكر ج ١ صفحة ٣٥٢، وانظر أيضا سلوى الطاهر "أول سيرة في الإسلام" صفحة ٧٠ – ٧١)

تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم وظاهر هذا السياق أن تركهم للأوثان كان بعد عبادتهم لها"

وفي مصدر آخر نقرأ:

"**وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته تهيأ للخروج أو أراده آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب وكلها به وقال: إذا رأيتِه هم بأمر فآذنيني به. ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق به فإنه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئا فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه.**" (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، ج ١ صفحة ١٩٨)

فوثنية ورقة حقيقة لا ينتطح فيها عنزان. وبعد ارتداده عن الوثنية غادر مكة لعدة سنوات إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين بحثاً عن الدين فتهوَّدَ خلالها ومارس اليهودية ردحاً من الزمن ثم اكتشف المساوئ فيها فانقلب إلى النصرانية. وخلال رحلته تعلم العبرانية وشرع في ترجمة بعض أسفار الانجيل العبراني. فلو كان ورقة يعرف العبرانية قبل حادثة الصنم لأنجز تراجم الكتاب المقدس قبل مغادرته مكة ولما كان ثمة حاجة لسفره الطويل. لقد كان ورقة على الوثنية حتى ولادة محمد (ص) ولم يكن بإمكانه حتى تلك اللحظة أن يكون قادراً على نشر العلم الديني وبذل النصائح والمشورات الدينية على أحد. ولذلك فخديجة (ر) لم تأخذ منه شيئاً من الدين. وهذا كله أخفاه خليل عبد الكريم وتجاهله كلياً بالرغم من وروده في مراجع لا تحصى من كتب السيرة التي طالما وصفها بالمعطار وبصفات ملونة عجيبة ذكرناها في مطلع الكتاب.

ب ـ تسرب الشك إليها

بعد أن أكَّدَ لنا خليل أن قرار خديجة (ر) في اختيار تلميذها ثابت غير قابل للجدل أو النقاش فاجأنا بأن الشك تسرب إليها وجعلها تتساءل حول صحة اختيارها لمحمد (ص). فهل يشكك خليل في صحة تنظيرها أم يريد وضع لبنة أولى في نفيه لفكرة النبوة الإلهية؟ إن كان يقصد ذلك فلماذا لم يفصح عما يعتمل في نفسه من أفكار وقناعات فيوردها بصراحة ثم يحاول إقناع القارئ بها؟ إنه لو طرح آراءه بأدب وباحترام الطرف الآخر لوجد من يحاوره ويناقشه حتى لو كان غير مؤمن بشيء. لنقرأ كلامه:

"من جماع [؟] ما تقدم من خوارق ومدهشات ومعجبات لفتت نظر خديجة وقد أوردنا أنها وضعت (المنقذ) تحت رقابتها وقدمنا سندنا ودليلنا أخذ اليقين يتسرب إلى داخلها أنه هو المأمول والمنتظر فأخذت تقترب منه كيما تختبره عن قرب لأن المعجزات وقد انتهت إليها ممن تثق فيه واستفاضت وانتشرت فغدت أخباراً متواترة إلا أنه كما يقول المثل ليس الخبر كالعيان وليس راءٍ كمن سمع. وحتى تنتقل من اليقين إلى عين اليقين كما يحكي السادة الصوفية بدأت باستئجاره ليخرج بشطر من تجارتها إلى سوق حباشة وعند قفوله تنتظره وقد خبأت له تحفة أو طرفة من طعام وقد أثنى عليها خيراً لهذا الصنيع ووصفها بأنها أحسن صاحب عمل وسبق طرح الأسانيد المؤيدة.

وفي أثناء تناول التحفة الأطروفة وتبادل الحديث تتفرس فيه وتلاحظه عن قرب وهنا توثق لديها اليقين وبقي الارتقاء إلى عين اليقين فارسلته أجيراً لها ليضارب في أموالها في القافلة المسافرة إلى الشام..."

لنا على هذه الفقرة أكثر من ملاحظة. فقوله "**أخذ اليقين يتسرب إلى داخلها**" لا يستقيم مع النص المقتبس ولا يتناسب مع الكلام الذي تلى ذلك وإنما يصح ويستقيم إذا استبدلنا كلمة "اليقين" بكلمة "الشك" ليصبح النص: "أخذ الشك يتسرب إلى داخلها". وكلماته التفسيرية بعد عدة أسطر: "**وحتى تنتقل من اليقين إلى عين اليقين**" لا تشفع له استخدامه لكلمة يقين في عكس المقصود منها وإنما نرى فيها مجرد التفاف زئبقي يخفي وراءه

قناعاته الحقيقية عندما أعلمنا بأنها توصلت إلى اليقين الأول من خلال أخبار متواترة سمعتها من آخرين. إن ما يُسمع من آخرين سماعاً لا يمكن له أن يرقى إلى مرتبة اليقين وإنما أحرى به أن يكون موضع شك يحتاج للتدقيق في صحته. ورغبة خديجة بالوصول إلى عين اليقين دليل على أن اليقين الأول لم يقنعها. واليقين الذي لا يقنع لا يمكن أن يسمى يقيناً. ولذلك نستنتج بالضرورة أن خليل أراد التعبير عن أن خديجة (ر) لم تؤخذ بالخوارق التي تداولها الناس وقررت التحقق بنفسها من صلاحية محمد (ص) للتجربة الكبرى.

وهنا ننتقل إلى الملاحظة الثانية التي نفند من خلالها ادعاء خليل المستمر بأنها وضعته تحت المراقبة تستقي أخباره منذ ولدته أمه. فلو كان الأمر كذلك لما حدث يقين أول غير مؤكد ولما اضطرت إلى "استئجاره" ولا إلى إرضائه بصنع حلوى تقدمها له لكي تتأكد من أنه "هو".

أما أنها استأجرته ليخرج بتجارتها إلى سوق حباشة فسوف نناقشه بالرغم من أن ذهابه إلى هناك موضوع شك كبير نكتشفه من المضمون التالي:

يتبنى خليل الرأي المعروف القائل بفقر أبي طالب[٢٩] وبأنه طلب من محمد (ص) أن يذهب إلى خديجة (ر) ليعرض عليها خدماته فإذا بمحمد (ص) لا يفعل. يقول خليل:

"**اقترح أبو طالب عليه أن يذهب إلى الطاهرة يعرض عليها أن تستخدمه كسائر العمال بيد أن الصادق المصدوق معتز بكرامته يشعر بأنه ليس كالآخرين وأن أنفته تأبى عليه ذاك وعزة نفسه ترفضه وحميته تنفر منه فلم يجد العم البائس الفقير بداً من أن يمشي بنفسه إلى أم هند.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٦)

---

[٢٩] - هبط الدهر بأبي طالب (عبد مناف) فأصبح معدوداً من الفقراء. "**بيد أن ذلك لم ينل من مكانته الأدبية فقد ظل من سادة قرية التقديس وغطاريفها وقد قيل عنه إنه من القليلين الذين تبوأوا مقام الصدارة رغم خلو يده من المال.**" (صفحة ٢٨٠)

يحطم مضمونُ هذه الجملةِ هيكلَ كتابِ خليل الذي أراد إقناعنا بأن خديجة (ر) كانت على اتصال وثيق بمحمد (ص) من أساسه. فلو كانت على معرفة قريبة به بالشكل الذي حرص خليل على إقناعنا به لما غاب عنها حاجته للعمل ولما ذهب أبو طالب إليها من أجل التماس عمل لابن أخيه.

وعندما يتكلم خليل عن اعتزاز محمد (ص) وأنفته وعزة نفسه ونفوره من الذهاب إلى خديجة (ر) التماساً للعمل يعترف أولاً بأن محمداً لم يكن عجينة لينة لا يناوئ ولا يعترض! فهو لم يطاوع عمه ولم يذهب إلى خديجة ولم يلتمس العمل منها بنفسه. ويعترف ثانياً بأن تباعد محمد (ص) عنها أقرب إلى واقع الأمر من قربه منها. فلو كان قريباً منها متتلمذاً عليها يسمع كلامها لاتخذ التخاطب بينهما شاكلة أخرى تماماً خاصة بعد أن تكون على علم بوضعه الاقتصادي الضعيف.

ولو كانت وظفته في حباشة ورضيت منذ ذلك الوقت عن أدائه لاستمرت علاقتها معه بشكل طبيعي بصرف النظر عن رغبتها في " تصنيعه " نبي العرب الجديد. فكيف يصبح الأمر لو كانت هي التي خططت لمحمد (ص) وجعلته في بؤرة اهتماماتها كزوج وكنبيّ؟ كيف يمكن أن يفوتها ذلك إن كانت صانعة أنبياء تتمتع "**بأفق رحيب ونظر بعيد وبصيرة نفاذة** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٨)

ومما يشير إلى تباعد محمد (ص) عن خديجة (ر) خلال العقدين اللذين سبقا اتصالهما استنتاجٌ نستمده من الاقتباس التالي الذي سبق أن أوردناه في سياق آخر وهو:

"**هذه الخوارق لا مشاحة في أن كل من تردد على البيت الذي ولد فيه الصنديد لا بد أن شاهدها وعجب لمرآها وعندما يغادر المنزل يقصها على أهله وجيرانه وأصدقائه فتنتقل من دار إلى أخرى حتى تسمعها سيدة نساء الأرض.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٢٦)

إننا نستخدم هذه الفقرة في أمر لا علاقة له بالخوارق وإنما للتدليل على أن خديجة لم يكن لها اتصال وطيد بمحمد كما يدعي خليل لأنها كانت تسمع عما يحدث في دار محمد

(ص) من أحاديث تنتقل من دار إلى دار إلى دار. ولذلك نرى أنه لا يوجد أية قرينة مقنعة بأنها كانت تعرف محمداً (ص) عن قرب قبل أن يعمل في تجارتها.

ج – أمومتها

نتناول الآن الفكرة التي أبداها خليل ليثبت وجود نوع مما هو معروف بعقدة أوديب أي العلاقة الحرجة بين الأم والإبن. ونبدأ باقتباسات من كلامه ثم نعلق عليها. فهو يقول:

"**إن معاملة سيدة قريش لبعلها كأم حنون وإشعاره بذلك دائماً وبإلحاح دفعه إلى الاقتناع بتلك الفكرة...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨)

وكتب أيضاً:

" **شعور خديجة نحو محمد هو شعور الأم التي تفيض حناناً وعطفاً وحباً ورئماناً على ولدها.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٢)

وكتب:

"**...ان الشعور بالبنوة لدى الأمين وعاطفة الأمومة عند الطاهرة متعينان بل متوافران فإذا تمكن هو من وجدان سيد الخلق غدا طلاب (بكسر الطاء) الطالب ومنية المتمنى لدى خديجة لأن الابن غالباً إزاء أمه، يصبح على قدر كبير من المهاودة والموادعة والملاينة والمطاوعة ..بخلاف البعل فهو يقف في وجه بعلته في أكثر الأحيان وقفة المجادلة والمحاورة والمشاكسة والمعاندة والملاحاة.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩)

وكتب أيضاً:

"**سبق أن أوضحنا في باب (الأم الرؤوم) وهو أن ذلك ساعد بالفعل على نجاح التجربة لأن (المجير) نظر إلى أم هند باعتبار أنها أمه مما عاضد على المطاوعة**

والملاينة والمسالمة والمهاودة وهي ركائز الفلج والظفر والفلاح." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٤)

وكتب:

" **ما إن فارق ملاك الرب** [جبريل] (الصين/المصون) **حتى سارع إلى الطاهرة جالساً على فخذها ملتزقاً بها شأن الابن الصغير مع أمه الحبيبة الشفيقة عليه وهي تدعه جالساً على فخذها وتضمه إلى صدرها بقوة وحنية."** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٠)

والجملة الأخيرة التي نقتبسها من خليل حول موضوع أمومة خديجة (ر) لمحمد (ص) تحوي نكهة عجيبةً أخرى. فهو يصف استسلام محمد (ص):

" **أما من جانب (الخاشع)** [المقصود محمد (ص) بالطبع] **فلا شك أن القارئ لم يَفُتْهُ أنه** [محمد (ص)] **أصبح مثلاً فاذاً في المطاوعة والملاينة. إجلس على فخذيَ يجلس ـ تعال في حجري ... يأتي. ادخل بين قميصي وجسدي...يدخل"** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٣/٩٤)

وربما الأهم من الاقتباس التعيس الذي سطرته أصابع خليل الاستنتاج الذي توصلت إليه عبقريته عندما تابع كلامه بعد الاقتباس بقوله:

"وهذا له دلالة لمن لديه ذرة من زكانة أو مسكة من فطانة على أن (الخاضع) [محمد (ص)] **غدا ينظر إلى زوجته نظرة الابن إلى أمه الحبيبة الذي يرى سعادته في برها ومهاودتها وأن ما تأمر به واجب النفاذ العاجل لأن الوالدة الحنون لا تشير إلا بكل ما هو في صالحه ولفائدته حتى ولو لم يعرف كنه الطلب ولا مغزى الأمر."** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٣/٩٤)

هل نلاحظ شبق خليل لحشر صورةٍ لمحمد (ص) في عقول الناس تظهره وكأنه خرقة بالية لينة مسالمة ومهاودة في يد زوجته؟ ومنذ متى كانت الملاينة والمسالمة والمهاودة مفاتيح الظفر؟ وهل بلغ غباء خليل في التعرف على شخصية محمد (ص)

الآسرة الجبارة أن جعله مجرد منفذ لأوامر خديجة (ر)؟ هل يريد خليل قلب مضامين التاريخ والواقع معاً بمثل هذا الانحراف المغرض في إعمال العقل؟

إننا لا نعرف في أية ظروف اجتماعية عاش خليل ليستنتج استنتاجات مريضة كالتي ذكرها لنا. أفلا تَبْرُزُ خلال الزواج نقاط تماس عائلية لا بد منها في كل ارتباط زوجي لتصبح عالة على عملية التصنيع بدلاً من أن تكون من أسباب النجاح؟ وهل لخليل أن ينير أفكارنا فيوفق لنا بين اقتناع محمد (ص) بكون علاقته معها علاقة الابن والأم مع موقفه منها حين يتعرى وتتعرى ليتشاركا معاً فراشَ الزوجية؟ هل أحاطها بذراعيه وكأنه يعانق أمه؟ هل ضمته إلى حضنها عارية وهي تتخيل أنها تضم ولدها؟ هل لخليل أن يزيل من أفكارنا شذوذ هذه الصورة البشعة الشاذة عن المألوف وعن طبائع هذين الزوجين بالذات؟ كيف أنجبت هذه "الأم" من هذا "الإبن" ستة بطون ولم تنجب زوجاته الأخريات اللواتي منهن البكر والثيب؟

إن كان شعور خديجة الشخصي تجاهه شعور الأم فكيف شاركته الفراش؟ وإن كان شعوره هو أمومياً تجاهها فكيف أمكن له الإنجاب منها؟ لا نقول هذا الكلام لتثبيت أي من الصورتين الشاذتين وإنما لنبرز مدى الشذوذ في استنتاجات وآراء خليل عبد الكريم.

وسؤال آخر في هذا الموضوع: هل تزوجته لأنه لين مطيع وديع أم تزوجته لتحويله إلى مهاوِدٍ موادعٍ لينٍ مطيع؟

هـ - حيثيات الزواج

ثمة خلاف يبلغ حدَّ التناقض بين مختلف كتاب السيرة حول الأسلوب الذي اتبعته خديجة (ر) للوصول إلى عقد الزواج. فبعد اتخاذها لقرار المباعلة الذي لا خلاف عليه نجد روايات مختلفة حول أسلوب التنفيذ.

نفيسة

أول المحاولات وأبسطها وأقربها إلى المنطق هو أن خديجة (ر) أرسلت إليه نفيسة رسولاً عنها لتجس نبضه قبل أن تفضح رغبتها به أمام الملأ. لنقرأ :

فـ "**راح محمد يعمل في تجارة خديجة بصدق وأمانة، وراحت هي تدفق عليه الأموال وتعطيه ضعف ما تعطي رجلاً من قومه.**" وبعد مضي فترة من التعامل معه والثقة به " **أرسلت إليه ذات يوم خادمتها "نفيسة" تفاوضه في الزواج منها. وروت لنا "نفيسة" قائلة: فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت بلى. وأنا أفعل. فذهبت فأخبرتها. فأرسلتْ إليه أن ائت الساعة كذا وكذا.**"[٣٠]

قبل أن نتابع الكتابة نشير إلى أن هذا الاقتباس الموثق في معظم كتب السيرة يؤكد أن محمداً عندما زارته نفيسة لاستمزاج استعداده للزواج من خديجة لم يكن لديه أدنى علم بالاقتراح الذي سيعرض عليه. فموضوع الزواج عرضته عليه نفيسة لأول مرة ووافق عليه بدون تردد، وبدون وضع أية شروط. إنه فوجئ بالموضوع واستجاب.

ويرى خليل نجاح المهمة فيكتب:

"**وينتهي الخبر بنجاح الدسيس نفيسة في مسعاها ويوافق محمد على مطلب خديجة أن تنكحه وتهرع إليها وتبلغها بالنتيجة الباهرة...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧) والحداد والحريري ومعظم كتاب السيرة متفقون على هذا الرأي.

---

[٣٠] - جعل خليل من نفيسة كاهنة قبيلة قريش، وأراد اقناعنا بأن استنجاد خديجة بها وارسالها لها إلى محمد (ص) لتسهل زواجها من محمد نابع عن كون نفيسة كاهنة. ولكن لا يوجد أي مرجع يذكر كونها كاهنة. ولا يوجد أي ذكر لكونها من طبقة الانتلجنسيا التي تحدث عنها خليل. ولا ذكر لأنها تجيد القراءة والكتابة. (انظر صفحة ٤٠ من كتاب خليل)

[كيف تكون نفيسة خادمة وكاهنة عند خديجة؟ إن كونها خادمة موثق في كتاب " **قس ونبي** " صفحة ٣٧]

ويتابع الحريري وصفه لتسلسل الأحداث انطلاقاً من أن الموافقة تمت من قبل الطرفين فيكتب:

"**وعندما بلغت الساعة الحاسمة، أرسلت خديجة إلى أعمامها فحضروا. وأرسل محمد إلى أعمامه فحضروا أيضاً. واجتمع الناس.**" ثم تم الاحتفال بنجاح كما وصفنا ووثقنا في كتابنا: "**القرآن ليس دعوة نصرانية**"

ويشدد خليل على اقتناعه بذلك الرأي فيكتب: "**ونورد فيما يلي ثبتاً بالمصادر ... التي تؤكد أن نفيسة هي دسيس الطاهرة**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥٤)

مراسيل عدة

بعد أن تبنى خليل الرأي القائل بنجاح نفيسة بالمهمة التي أوكلت إليها ورأى أيضاً أن الموافقة تمت بسهولة تامة نجده يبدي قناعة أخرى نستنتجها من الاقتباس التالي حيث ينبهنا إلى عقبات[٣١] واجهت مشروع الزواج وإلى الأرق الذي انتاب خديجة (ر) من أن

---

[٣١] - لنقرأ هذا النص حول العقبات التي هدّدت نجاح الزواج:

"**وهذا الأمر يؤكد ما قلناه إن هناك عقباتٍ كبيرة وقفت في طريق الطاهرة تحول بينها وبين نكاح (ذي الميسم)....أم هند خاضت وقعة عنيفة لتغدو بعلاً لـ (المصلح) لتتولى به ومعه عملية الصقل والتدريب والتشذيب والصنفرة.**"[٣١] (صفحة ٧٢)

إذن خافت خديجة أن يتزوج محمد (ص) من أخرى فطار النوم من عينيها وقامت بجهود جبارة بعد أن داخت سبع دوخات حتى وافق محمد (ص) على الزواج منها. أما الصورة الأخرى الموثقة في العديد من كتب السيرة فإنها تفيد بأن محمداً وافق على الزواج بسهولة وبساطة دون أن تشير إلى حدوث محاولات سابقة بذلتها خديجة (ر) من قبل. هذا التناقض في استنتاجات خليل يدفعنا للتساؤل: ألم يكن من الأسلم أن يشير إلى وجود روايتين متناقضتين أو ثلاثة في أمهات الكتب بدلاً من أن يبني بناءه على التناقض ذاته؟

"**تَنْشِلْ**" إحدى صبايا قريش محمداً (ص) من بين يديها مما "**طير النوم من عينيها الاثنتين ودفعها إلى ملاحقته بهيئة تشي بالإلحاح وتقطع بالإلحاف وتؤكد الإصرار وتدل على المثابرة.**"

وهذه الصورة تتناقض مع موافقته السريعة أمام نفيسة وتضع أمامنا موقفاً مختلفاً وثقه لنا بعدة اقتباسات تفيد عدم نجاح خديجة (ر) في مسعاها فقامت ببذل جهود أخرى:

- "**تعددت المراسيل التي بعثتها الطاهرة لـ (أبي القاسم) لكي يوافق على أن تنكحه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥١) أو:

- "**بيد أن (سيدة النساء) لم تضع وقتاً، إذ بعد عودته من الشام بشهرين وعشرين يوماً وقيل بعد شهر وعشرين يوماً ظفرت به بعلاً بعد أن أمطرته بوابل من المراسيل والمبعوثين والمندوبين من كافة الأشكال والأصناف حتى سلم لها فنكحته.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٤)

وفي موقع أخر أعلمنا عن عدد أكبر من المراسيل منها هالة أخت خديجة (ر) وعمار وأسماء أخرى.

ثم يتابع تبنيه لكثرة المراسيل حيث يقول: " **ورغم ذلك فإن العجب يملؤك ...وأنت تطالع أخبار المحاولات الدؤوب والعروض المتلاحقة كيما يوافق الأمين على المباعلة ويرضى بالنكاح ويسلم بالزواج منها.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٩)

وبعد صفحة واحدة فقط يأتي خليل بكلام يشير إلى شبق خديجة وإلحاحها على الزواج حيث كتب:

"**وبعد قراءة مستأنية في أمهات مؤلفات السيرة المحمدية الزكية الريح مثل الند تبين لنا أن سيدة قريش جف ريقها وحفيت قدماها وداخت السبع دوخات كما يقول التعبير الدارج حتى وافق (إمام الأولين والآخرين) على خطبتها فنكاحها. لقد ساقت إليه العديد من الأشخاص فيهم ذكور وإناث أحرار وعبدان وموالي وأقارب وأباعد ومنهم**

من ألح عليه مرات عديدة مثل نفيسة بنت منية صاحبة أبرز الأسماء في المراسيل ...الذين بعثتهم إليه. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٩)

ووضعنا خليل أمام صورة أخرى نرى فيها محمداً (ص) محاصراً لا حول له ولا قوة. يقول:

"**إزاء ذلك يجد (المعصوم) نفسه في دائرة محكمة أفرادها متعددون منهم ذكور وأحرار ونسوان حرائر وعبدان وموالي وكاهنة فلا بد أنه إذن يستسلم لرغبة سيدة النساء.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢) فهل رفض محمد (ص) كل الوساطات التي كرستها خديجة (ر) لتتزوج منه؟

لماذا ترسل له مختلف المراسيل من ذكور ونساء وأحرار وعبيد إن كان قد وافق أمام أول رسول؟ لقد أصبح خليل حتى الآن يتبنى رأيين متناقضين. الأول يفيد بأن نفيسة كانت الرسول الأول وأنها نجحت في الحصول على موافقته دون أية صعوبة بينما يتحدث الثاني عن طابور من المراسيل وصعوبات وعقبات وقلق واجهت الزيجة.

في الواقع يصعب تقبل الفكرة بأن خديجة (ر) أمطرت محمداً (ص) بوابل من المراسيل في أي لحظة من لحظات علاقتها به. فكتب السيرة تتحدث عن وسيط وتختلف حول هويته. فهل كلفت خادمتها نفيسة أم أختها هالة أم خادمها ميسرة أو غلامها ناصح أو فلان أو فلانة؟ لو كانت أمطرته بوابل المراسيل لاستنتجنا أن فشل المرسال الأول أدى إلى تكليف المرسال الثاني، وفشل الثاني أدى إلى تكليف الثالث، وهكذا دواليك. إلا إذا كانت اللهم قد أرسلت جميع المراسيل خلال فترة واحدة فاعتذر محمد (ص) منهم خلال لقاء يجمعهم معاً. وبذلك يكون محمد (ص) قد استنكف عن قبول المكانة السامقة والجاه الرفيع والغنى الوسيع ورجاحة العقل ولم يكترث بكل ذلك وفَضّلَ الاستمرار في حياته العادية. وبذلك ينتفي اتهام خليل له بأنه كان يطمع بثروة خديجة (ر) كما سنرى بعد قليل.

خديجة (ر) هي التي خطبته

لكن خليل لا يكتفي بالصورتين الأولى والثانية وإنما يأتي من أمهات الكتب بصورة ثالثة مفادها أن خديجة هي التي أمسكت بزمام أمرها. فهي " **رغم مكانتها السامقة وحسبها الشريف ونسبها الرفيع وغناها الوسيع وثروتها الممدودة وكهولتها وحزمها ورجاحة عقلها فقد ضربت بتقاليد القبيلة وكافة القبائل عرض الحائط...وتقدمت إلى سيد أهل الله بنفسها تقول له (إنني رغبت فيك) ولم تعبأ بفارق السن الذي يقارب أو يجاوز الربع قرن وعرضت نفسها عليه ولم يحدث أن سيدة قبلها جرؤت على ذلك.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٢)

إن النقطة الأهم في هذه الصورة هو أن خديجة يجب أن تكون قد أرسلت المراسيل قبل أن تضرب بالتقاليد وتخاطب محمد (ص) مباشرة. فلو حصلت على الجواب الإيجابي (وقد حصلت عليه نتيجة لوساطة الوسيطة الأولى نفيسة)[٣٢] لتلاشت الضرورة لإرسال أي رسول أو وسيط.

لكن سؤالاً مهماً يحتاج إلى جواب: فأي الصور الثلاثة اعتمدها خليل؟ هلا ثبت على موقف؟ كيف تمطره بوابل من الوسطاء إن كانت أمسكت بزمام المبادأة بيدها واندفعت بنفسها ذلك الاندفاع القوي؟

هذا وإن إمساكها بزمام الأمر يفرض علينا سؤالاً آخر:

---

[٣٢] - يستشهد عبد الكريم باقتباس ثان يثبت اطلاعه على أن محمداً (ص) وافق على الزواج من خديجة مما يدحض ضرورة أن تعرض نفسها عليه. فهو يقتبس: "**قال ميسرة أرسلتني سيدتي بعد شهر وعشرين يوماً من عودتنا من الشام إلى محمد فقلت له يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ قال ما بيدي ما أتزوج به قال: فإذا كان ما تملكه على قلته يكفي ودعيت إلى الجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قال إنها خديجة. قال إنك هازل كيف أجرؤ على أن أتقدم لطلب يدها وما أملك من مهر؟ ...وكانت نغمة سيدي في حديثه كافية لمعرفة عواطفه نحو سيدتي فاسرعت في العودة لأبشرها فغمرها السرور فأخذت بالاستعداد للزواج**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٦١. وهو أخذها عن: "محمد رسول الله" لناصر الدين إتيين دينيه وسليمان ابراهيم بتعريب الشيخ عبد الحليم محمود وابنه، صفحة ٦٧)

هل تتناسب رجاحة عقل خديجة (ر) وحكمتها وكونها صانعة أنبياء وكاهنة وشريفة مع هذه الصورة التي رسمها لنا خليل لها والتي، بشذوذ تفاصيلها، تشوه سموّ قدرها ؟ كيف يمكن لخديجة (ر) بعقلها وحكمتها وفراستها ومقدرتها على استشفاف المستقبل أن ترسل بكثافة غير طبيعية عدداً كبيراً من الوسطاء خلال حوالي شهر ونيف من الزمن فيجيبها محمد (ص) معتذراً فتبقى على إصرارها وإلحافها فتفاتحه بشكل مباشر بأنها تريده زوجاً فيعدل عن رفضه الذي أبداه تجاه جيش المراسيل فجأة ويقبل بما عرضته عليه؟ ألم ترتدع من استمرار اعتذار محمد (ص) عن قبولها زوجة فتكف عن متابعة ما يسميه خليل: "**الوسائل التي استخدمتها والطرق التي سلكتها والفجاج التي اقتحمتها لإصابة هدفها**"؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٢)

وقبل "التشطيب" على موضوع أسلوب وملابسات ذلك الزواج نشير إلى أن خليلاً نسب إلى خديجة (ر) لجوءها إلى "عرافة" سماها: "كاهنة مستنشئة" فزقتها[٣٣] على محمد لتضمن قبول محمد (ص) الزواج منها:

"**وأخيراً فإن هذا التحرك من جانب سيدة قريش – التي لا ترد لها الكاهنة / المستنشئة رغبة ولا تخيب لها رجاءً – يدل وحده على أن خديجة أعيتها الحيل وضربتها الحيرة وعمتها اللخمة. وملها التردد والعجز وأسقط في يدها فلم تجد مناصاً من أن تؤم الكاهنة.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤١)

"**إن من يمارسون الكهانة والعرافة والعيافة لديهم من اللباقة واللسن والفصاحة ما ليس لغيرهم ومن ثم فهم أصحاب قدرة على التفهيم والإقناع والتبصير.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٠)

هل يريد خليل إقناعنا بأن خديجة (ر) غير قادرة على "**التفهيم والإقناع والتبصير؟**"

---

٣٣ – عند كلمة "**زفتها**" وضع خليل رقم حاشية فتوقعنا إيضاحا لما حصل. ولكننا للأسف لم نجد تفسيرا سوى: "**كلمة عربية فصيحة**"

وثمة استنتاج مهم آخر: إن كان محمد (ص) قد صدَّ كل وساطات المراسيل فلا بد أن اتهام خليل له بالتطلع إلى ثروة خديجة باطل ولا بد أنه لم يسعَ من جانبه للزواج منها. وإن بلغ حجم صدّه لهذه الزيجة الحد الذي عرضه خليل علينا يسقط ادعاؤه التهجمي عندما قال لنا بأن محمداً سعى إلى مال خديجة (ر) ليبعثره كما يشاء وبأنه استولى على كل المال كما نجد على الصفحات ٣٠٥ – ٣٠٨ من كتابه.

لو كانت ثروة خديجة (ر) هدفه ولو كانت ثروتها تبلغ نصف ثروة قريش لتساءلنا: لماذا لم تشتر خديجة (ر) الولاء والطاعة بالمال؟ لماذا لم تحمه أموالها من عزم قريش على قتله؟ هل هي التي لم تبذل المال من أجل هذا الهدف أم أن محمداً (ص) لم يُسَخِّرْ ثروتها في شأن يخصه تحديداً؟

و – التلميذ اللين المطيع

ينسب خليل إلى خديجة أنها أرادت بتوظيفها لمحمد (ص) "**التعرف عن قرب قريب على مدى مطاوعته وملاينته ومسالمته وهل لديه ولو ذرة واحدة من المعارضة والمناوأة والمشاكسة...الخ.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٥)

يفيد هذا الرأي الذي يمثله خليل بأن خديجة (ر) تعرفت على محمد (ص) عن قرب بعد توظيفه ووجدت فيه المطاوعة والملاينة والمسالمة دون ميل للمعارضة ولا للمشاكسة فتابعت إنجاز تجربتها عليه. أي أنها اكتشفت كونه صفحة بيضاء خالية تصلح لأن تملأها بأي مضمون تريده دون أن تلقى منه أي اعتراض. لقد جعل خليل من محمدٍ (ص) مجرد حجر أملس تنقشه كما تريد أو مجرد شريط تسجيل تملأه بما لديها من معلومات ليحفظها عن ظهر قلب ويعيدها على مسامع الناس. نحن نرى أن المرء قد يستطيع تكييف شخصية إنسان حسب مواصفات معينة لكن هذا المرء لا يستطيع قلب تلك الشخصية من

"مطاوعة" "مسالمة" "لينة" إلى جبارة خلاقة لا تتأثر بجميع أنواع المرغبات ولا تستسلم للتهديدات المصيرية التي يتعرض لها من مجتمعه.

هذا ونحن نعلم بأن محمداً (ص) خاض معارك وحروباً متعددة. فهل علمته خديجة فنون قيادة الحروب وإدارة المعارك والغزوات أيضاً؟

لو كان محمد (ص) طيعاً ليناً لا يعارض ولا يشاكس لما وقف في وجه جبابرة قريش وأثريائهم وقفة صلبة لا تقبل الحلول الوسط. لو كان ليناً سهل القياد لكان أحرى به أن ينقاد لهؤلاء الجبابرة الذين كان كل منهم ذا بأس وقوة وإرادة تفل الحديد. لقد ذلل محمد (ص) مقاومتهم بقدرات رجلٍ يعرف ما يريد ويجازف غير عابئٍ برغد العيش ويغامر بحياته من أجل تحقيق هدفه. ولو كان محمد (ص) جشعاً يبحث عن المنفعة ويسعى نحو الرفاهية لاكتفى باستغلال المال المتوفر في يد خديجة (ر) ،حسب ادعاء خليل، أو لاختار الطريق الأسهل والأسلم بأن يتقبل الوعود السخية التي تقدم بها إليه أسياد قريش دون الحاجة لثروتها. فما حاجته للوعود التي يمنيه بها الآخرون إن كانت ثروة زوجته التي كانت تعادل نصف ثروة قريش تقريباً تحت تصرفه "**يبعزقها كما يشاء**" ؟ [٣٤]

لا شك في أنه كان هو الشخصية الطاغية الآسرة الذي ذاب في بوتقتها الكبار والصغار نساء ورجالاً وانطوت تحت شخصيته العظيمة أعتى رجالات الجزيرة العربية وأكثرها عناداً وأشدها بأساً.

ونسترسل في نفي كون محمد (ص) تلميذاً تلقى العلم من خديجة (ر) باقتباس من خليل حيث يعترف فجأة بكون معلومات خديجة (ر) متواضعة بقوله:

---

[٣٤] - يلقي خليل لوماً عنيفاً على الكاتب محمد حسين هيكل الذي لم يكتشف إسراف محمد (ص) بثروة زوجته فيقول: "**وإن المرء ليتولاه العجب ويتساءل: كيف أن مؤلفاً (بكسر اللام) في قامة هيكل لم يلتفت إلى أن حل خديجة يدي (أحمد) من القيود في ثروتها يزعبقها كما يريد تم عن وعي كامل وبقصد محدد.**" (هكذا وردت: يزعبقها (خليل، صفحة ٣٠٦) ووردت لديه أيضا بشكل: يبعزقها)

ونلاحظ أن خليلاً وضع التشكيل تحت كلمة "وبقصدٍ" أي أنه عرف بوجود التشكيل في اللغة العربية واستخدمه. فلماذا لم يستخدمه في عشرات المواضع حيث يكتب بكسر الهاء أو بفتح الضاد أو بضم القاف؟

" نذكر بأننا ألمعنا إلى أن أم هند تمتعت بثقافة دينية ذات قدر معقول جاء متوافقاً لسد موجبات الشطر الآخر هذا بمعنى أنه أتى كفيئاً للإجابة على استفسارات واستيضاحات سيد أهل الله [محمد.ص] ونأسف للتكرار إذ لا بد أن نكرر أنه في ذياك الوقت جاوز العشرين من عمره المبارك بما لا يزيد بحال من الأحوال عن ثلاثة أعوام فضلاً عن حداثة عهده بهذه المسائل الثيولوجية العميقة. ومن ثم فإن ما يطلب الرد عليه لا يرتفع عن مستوى ما حصلته هي من معارف دينية." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٧)

إنه لكلام يثير الاستغراب! لقد كانت خديجة (ر) قد أمضت حوالي عشرين عاماً مع ابن عمها ورقة عندما شرعت في تنفيذ أربها بمحمد (ص) وكانت تقرأ الصحف والأسفار وتناقش النساء والرجال في صالوناتها. فهل لم يتجمع لديها من المعرفة ما يكفي للإجابة على أسئلة تلميذ في السنة الثالثة أو الرابعة من تتلمذه عليها وعلى ورقة بن نوفل؟ ألم تنضج لديها خلال عشرين عاماً المعلومات وتتفاعل في فكرها التساؤلات بحيث تجيب على أسئلة شاب "غر" حديث العهد بالفكر الديني كما يدعي خليل؟[٣٥] إن كان الأمر كذلك فخديجة (ر) لا تملك القدر الكافي من العلم. ورقة هو بحر العلوم. وبذلك ينفي خليل بنفسه وجود دور تعليمي أساسي لخديجة وينكفئ في تيار الحداد والحريري اللذين وضعا ورقة قبل محمد (ص) وفوق الآخرين. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٣٠)

إن الادعاء بوجود فضل لخديجة (ر) على المضمون الفكري على الدعوة لا دليل عليه. لا شك بأنها ساهمت بوقوفها إلى جانب زوجها خلال الأيام الصعبة كزوجة واعية

---

٣٥ – نقتبس من خليل جملة لا تكتفي بإبراز حداثة محمد (ص) بالفكر الديني وإنما تنفي وجوده لديه إذ يقول إن محمداً (ص) كان " **يتمتع بأعلى المواهب العقلية وهو أمي. بيد أن الأهم من ذلك كله ليست لديه ثقافة دينية من أي نوع.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٧) وسنأتي على كلام حول هذه الجملة في موقع مقبل من هذا الكتاب.

للحدث الكبير الذي بدأ يشرق وينير. أما أن يكون لها أثر تعليميّ على محمد (ص) أو أنها أعطته نصوص الوحي فهذا محض خيال لا يوجد أي دليل حسي عليه ولا يتقبله أي منطق.

وثمة وجهة نظر أخرى يجدر الإتيان على ذكرها هنا حول كون ورقة أستاذ خديجة في النصرانية. فنحن نعرف وثنية ورقة خلال ستين عاماً من عمره ونعرف أيضاً علاقة خديجة (ر) بالنصرانية من خلال كون زوجها نصرانياً إن لم يكن زوجاها. أي أن خديجة كانت على علم بمضمون دين توحيدي في وقت كان ورقة يعبد الأصنام. فَمَنِ الأحرى به أن يكون أستاذ الآخر بعد أن اطلعنا على الصفات والقدرات الخارقة التي منحها خليل لها وهي الهندوز؟ وإن كانت على علاقة بالنصرانية في وقت مبكر فلماذا لم تحاول إرشاد ابن عمها إلى دين الوحدانية وإنقاذه من الوثنية قبل حادثة وقوع الصنم في الكعبة؟

ونكرر وجهة نظرنا هذه بكلمات أخرى:

يُجْمِعُ خليل ومن شاركه في مدرسته وآرائه بأن محمداً كان يجتمع بخديجة (ر) وبورقة. أي إنه كان تحت رعاية الأستاذ بحر العلوم بحضورها. وبما أن توفر الماء يُبطل التيمم يسقط دور خديجة (ر) في تعليمه، اللهم إلا إذا كانت مهمتها تنحصر في "تسميع" الدروس التي يتلقاها من بحر العلوم.

وما جاء في الاقتباس السابق يذكرنا بمثل يقول بأن الوعاء لا ينضح إلا بما فيه، هذا من جهة. ومن جهة أخرى لا يفيض مضمون الإناء وينتشر في محيطه إلا إذا كان مملوءاً. فثقافة خديجة (ر) الدينية كانت "**ذات قدر معقول**" وعلى مستوى يكفي ليشفي غليل أسئلة محمد (ص) الحديث العهد في المسائل "**الثيولوجية العميقة**." فَعلْمُها لم يصل إلى مستوى علم أحد ممن كان حولها ليخولها أو ليمكنها من التعرض لمثل هذه المسائل. وهذا كان مستواها بعد أن جاوزت الأربعين من عمرها كما يقول خليل. فهل يمكن لسيدة مثلها أن تتبنى وأن تدير تصنيع إنسان لين العريكة لتجعل منه إنساناً جباراً وحَّدَ الجزيرة العربية العنيدة وقلبها رأساً على عقب؟ وهل يمكن لثورة محمد (ص) على الوثنية وعلى مجتمع قريش أن تصدر عن شاب لين العريكة سهل التسيير إلى هدف لا يشكل جزءاً من

ذاته؟ هل نسي الباحثون المغرضون بأسه عندما قال: "**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته.**" وهل غاب عنهم حجم الوعود السخية التي عُرضت عليه فرفضها جملة وتفصيلاً ليبقى ثابتاً وراء أهدافه السامية؟ هلا تذكروا ما تحمله مع أتباعه من الأذى والظلم وما تعرضوا له من أخطار عندما قررت قريش قتله فاختار متابعة الطريق الوعرة بدلاً من الاستسلام لنعيم الحياة وملذاتها؟

ز - لماذا لم يتزوج بأخرى؟

خلال بحث خليل لهذا الموضوع وجَّهَ أنظارنا بقوة إلى شخصية أم هانئ التي رغب محمد (ص) الزواج منها مما جعلها منافسة خطيرة لخديجة (ر). ولذلك نتعرض إلى قصتها بإيجاز:

إنها ابنة أبي طالب التي كان محمد (ص) "**يأمل في زواجها إذ أنهما تربيا في بيت واحد ولا بد أن نشأت بينهما عاطفة طاهرة شريفة مصيرها المباعلة إذ أن العرف استقر آنذاك وما زال حتى الآن في شبه الجزيرة العربية المباركة بل في صعيد مصر الذي دهست أراضيه قبائل كثيرة مع الغزو العربي الاستيطاني بقيادة عمرو بن العاص ذلك الذي فعل الأفاعيل هو وجنوده في مصر المحروسة عكس ما يزعمه حملة المباخر من المؤرخين المحدثين. جرى العرف على زواج ابن العم بابنة عمه.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٧)

نشير هنا ثانية إلى ما سبق أن ذكرناه عن حقد خليل على العرب وعلى الجزيرة العربية، هذا الحقد الذي لم يفصح عنه وإنما أضمره وحاول ستره بألفاظ فيها من النفاق أكثر مما فيها من أمانة الباحث. فاستخدامه لكلمة "**المباركة**" لقباً لشبه الجزيرة العربية ثم قرن ذلك بأن القبائل العربية **دهست** أراضي مصر المحروسة وبأن أفاعيل عمرو بن

العاص فعلت فعلها هناك لا يشير مطلقاً إلى قناعة صادقة بأن الجزيرة العربية أو مكة وما حولها أرض مباركة. فلماذا يظهر غير ما يبطن؟

واستنتاج آخر من الاقتباس: ما هذا الغمز من نشوء عاطفة طاهرة شريفة بين محمد (ص) وأم هانئ؟ لو كان محمد (ص) "**يأمل في زواجها**" ويعيش معها في بيت واحد فماذا كان يمنع زواجه منها؟ هل كان عمه الذي أحبه ورباه ودفع عنه أذى قريش وتوسط له ليحصل على وظيفة ذات أجر كبير نسبياً ليقف عائقاً في وجهه؟ هل كَمَنَ المانع لزواج محمد (ص) من أم هانئ كونهما عاشا في بيت واحد فنشأت علاقة أخ مع أخت أكثر من كونها علاقة "مباعلة" ؟

صحيح أن خليل أشار إلى أن محمداً (ص) عبَّرَ عن رغبته بالزواج من ابنة عمه أم هانئ فاعتذر أبوها لأنه وعد هبيرة بها. لكن خليل لم يوثق هذه القصة إطلاقاً. هذا من جهة. ومن جهة أخرى نتساءل: هل أحب ابنة عمه التي كان يصابحها ويماسيها وترك فرصة طلب يدها تمر من بين أصابعه؟ هل يعقل أن نبأ تزويج ابنة عمه من هبيرة قد خفي عنه فمر عليه مرور الكرام دون أن يحاول الاعتراض فيصرح عن رغبته بالزواج منها؟ هل أهمل ذلك بالرغم من أن "**عاطفة طاهرة شريفة مصيرها المباعلة** " كانت قد نشأت بينهما كما أعلمنا خليل قبل قليل؟

يشعرنا خليل من خلال الاقتباس التالي بوجهة نظره في عدم زواج محمد (ص) بأم هانئ فيقول بأن خديجة منحته أربعة أضعاف الأجر المتعارف عليه لكي يسكت على عدم زواجه من أم هانئ:

"ومن الجانب الموازي فإن سيدة نساء قريش حينما تضاعف الجعل أربعة أضعاف لمحمد فإنها بذلك تبلسم[٣٦] ما قد يعتور قلب محمد من ندوب وما قد يصيب شغاف فؤاده

---

[٣٦] – عند هذه الكلمة وضع خليل رقماً لحاشية فظننت أنه سيحدد المرجع والصفحة التي استقى منها هذه المعلومة. وقلبت الصفحات فوجدت أن حاشيته تضمنت ما يلي: "في **المعجم الوجيز: البلسم دواء تضمد به الجروح.**" (صفحة ٨٠) فهل وضع هذه الحاشية لمجرد إعلامنا بأن البلسم دواء للجروح أم أنه أراد تورية اجتهاداته الخائبة وغير الموثقة خلف أرقام الحواشي ليضلل القارئ؟

من جراحات عندما تطير منه أم هانئ لما تفلح سيدة قريش في نكاحه.." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٨)

وبذلك نجده يتهم خديجة (ر) برشوة محمد (ص) لاستبعاد أم هانئ من طريقها. فهل أصبح يطعن بطبائعها بعد أن جعلها فوق الجميع؟

ثم ينتقل خليل إلى الصفحة ٣١٢ من كتابه حيث يعرض آراء مفكرين معاصرين في الأسباب التي امتنع النبي من أجلها عن الزواج بأخرى أثناء حياتها، ومفادها أن مكانة خديجة (ر) في قومها ووضعها الاقتصادي والاجتماعي حبسته عن الزواج بغيرها. لكن خليل يقر بنفسه على الصفحة التالية مباشرة بضعف هذه الحجج ويتحفظ عليها بقوله:

"**نحن لا نرفض تلك التعليلات لتبرير امتناع محمد عن الزواج بغير خديجة ...بيد أننا نرى أنها غير كافية إذ في شباب محمد ووضاءته ورفعة نسبه ما يجعل البطون المنافسة لبني أسد مثل بني مخزوم وبني أمية تقبل بمصاهرته بذات الطريقة التي استنتها أم هند بل ابتدعتها.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٣)

ولأن الأسباب المذكورة ليست كافية للتبرير فإنه يسوغ امتناع محمد (ص) عن الزواج من امرأة ثانية طالما خديجة (ر) على عصمته استناداً إلى رأي آخر:

" **من الأسباب التي حالت دون زواج محمد بزوجة أخرى على الطاهرة هو أن "الثقافة الدينية" التي هيمنت على بني أسد، رهط أم هند** [خديجة (ر)] **تحرم الجمع بين بعلتين، كما أنها تحرم الطلاق لأن ما ربطه الرب لا يفكه العبد.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٧٩) وفي موقع آخر يقول:

"**ان الثقافة الدينية التي سيطرت على عشيرة بني أسد تحرم تحريماً قاطعاً الزواج بأخرى.**"

هذا ادعاء باطل! فإن كان بنو أسد نصارى فالنصرانية لا تحرم الطلاق، بعكس مسيحية الثالوث التي نعرفها في الوقت الحاضر. وإن كانوا وثنيين لوجدنا أن الوثنية لم تمنع تعدد الزوجات. أما لو انطلق محمد (ص) من منطلق الإسلام الذي يسمح بالزواج من أربعة لما امتنع عن الزواج بأخرى.

بدء التجربة

يقصد خليل بالتجربة عملية "توضيب" خديجة (ر) لمحمد (ص) للنبوة ويحدد بدءها بجملتين نوردها كما يلي:

١ - "**هذا الخبر الذي نختم به أقصوصة السفرة الثانية (الأخيرة) للشام يشكل بداية تعاون الهندوز واليعسوب في معالجة التجربة المدهشة.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٥٦)

٢ - "**متابعة التجربة التي بدأتها خديجة بعد أن نكحته.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٣٤)

إذن فبدء التجربة حدث بعد زواجه منها. ولكن هذا القول لا يستقيم مع منطق الأحداث. فلو كانت خديجة (ر) تعرف محمداً (ص) منذ ولادته أو طفولته وتدري بالرسالة التي كان مختاراً لأدائها يصبح من أغرب الأمور أنها لم تشرع بتطبيق "التجربة" عليه من قبل. فلماذا هذا الانتظار المستغرب إن كان العلم في الصغر كالنقش في الحجر؟

لنتجاوز هذا الاعتراض لنسأل:

بماذا بدأت التجربة؟

يجيبنا خليل بوضوح الواثق من كلامه:

"بدأت التجربة بالمشي في الأسواق ثم بالمدارسة بسائر ضروبها من قراءة عليه وتحفيظ وشرح وتفسير. .... وبعد أن أدرك غاية المسعى وهدف التجربة وقصد المجهود، ولسنا بحاجة أن نذكر أنه عبقري فطن لماح جعلته يتوق أن يصبح واحداً من أولئك الرجال الذين أحاط خبراً بحكاياتهم." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٥٣/٣٥٤)
ولذلك نتحاور مع خليل في موضوع الأسواق.

آ – الأسواق:

بعد أن يذكرنا خليل مجدداً بثراء خديجة (ر) ويؤكد أنها رصدت ثروتها لإنجاح التجربة التي ستؤدي إلى الدعوة الإسلامية يعلمنا بأنها رفعت عن عاتق محمد (ص) مسؤوليات الجد والجهد لكسب العيش "**...وأخذت ذهنه البتة من هم الرزق كيما لا يشغله شاغل من أي نوع يعوق نجاح التجربة التي رشحته لها ليتحقق حلمها بأن يغدو القادم المنتظر.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢٠)

ثم يتساءل عن النشاطات التي شغلت محمداً ما دام أصبح غير مكلف بكسب المال فيكتب سائلاً:

"بيد أنه ما هي العمالة التي مارسها إبان فترة التفرغ أو حقبة التأسيس وهي مدة متوارية في الظل في كل كتب السيرة لا تجد عنها خبراً. فبعد أن نكحته خديجة وذكرت المؤلفات وقائع الزواج، قفزت [كتب السيرة] **مباشرة إلى حادث الغار. إذن ما هي أعماله وممارساته أو أنشطته إبانها؟ لقد تفرغ أو بمعنى أوضح فرغته الطاهرة للتجربة ففي النهار يمشي في الأسواق يقابل ويحادث ويحاور أصحاب مختلف العقائد والملل والنحل الذين ماجت آنذاك بهم قرية القداسة من يهود ونصارى وأحناف وصابئة ومجوس وغنوصية...إلخ ولا يفوته حضور الأسواق التي تنصب أو تقام في مواعيد معروفة مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز ويسمع خطبهم ومحاوراتهم وأشعارهم فيها...**"

لنا على هذه الفقرة أكثر من ملاحظة تكشف تخبطات خليل عبد الكريم. فمضمونها مجموعة من الافتراضات الشخصية التي لا يؤيدها أي مرجع من المراجع التي استند إليها. فقد حاول في مواضع لا تحصى من كتابه إقناعنا بأن خديجة (ر) تزوجته لتلازمه ولتدرسه الدين الذي تريده أن يدعو إليه. فمن يبحث في علوم الدين لا يتمشى في الأسواق التجارية! ولو كانت الأسواق التجارية هي المكان الأنسب الذي يفي بالغرض لما رحل ورقة ورفاقه الثلاثة إلى بلاد الشام والرافدين بحثاً عن الدين. لقد أوهمنا خليل بأنها حجرت عليه حجراً يكاد يكون محكماً لئلا يستمع إلى أية دروس من مراجع أخرى لكيلا تختلط عليه الأمور فيضيع بين مختلف الاتجاهات الدينية المتداولة في أسواق الفكر في مكة؟ فكيف يريد إقناعنا الآن بأن خديجة (ر) أطلقته آناء النهار لينهل من السوق ثم تتلقفه في المساء وتجري معه الحوارات بحضور ورقة خلال "**الجلسات التي قد تستمر حتى بزوغ الفجر**" حسب تعبير خليل. (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢١). كيف قال لنا خليل بـ "**أنها [خديجة] لازمته ملازمة الظل لا تتركه يغيب عن عينها لحظة واحدة أو حتى طرفة عين.**" بينما يصر على أنها كانت تطلقه في الأسواق دون رقيب أو حسيب؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨٩)

ملاحظتنا الأولى تدفعنا للتذكير بأن الأسواق لا تشغل إلا جزءاً من السنة. فسوق عكاظ التي تقع بين مكة والطائف تستمر من أول ذي القعدة حتى العشرين منه. وسوق مجنة (أو ذي مجنة) تستمر من ٢٠ – ٣٠ من ذي القعدة. وسوق ذو المجاز تستمر من أول ذي الحجة حتى الثامن منه أي حتى افتتاح أيام الحج الأكبر. أما سوق خيبر القريب من مدينة يثرب فيبدأ مع نهاية الحج ويستمر حتى نهاية شهر محرم.

علينا هنا أن ننتبه إلى ما يلي: يستمر سوقا عكاظ ومجنة معاً مدة شهر. وتستمر سوق المجاز ثمانية أيام. أما سوق خيبر فهي قريبة من يثرب التي تبعد عن مكة أكثر من أربعمائة كيلومتراً. ولا يوجد أي ذكر أن محمداً (ص) زار سوقاً بالقرب من يثرب تستمر شهراً. ولذلك تنحصر فترة الأسواق التي كان يزورها يومياً من أول ساعة حتى آخر ساعة في خمسة أسابيع من السنة. وبذلك يبقى سبعة وأربعون أسبوعاً من السنة لا

أسواق فيها. فهل كلف خليل نفسه عناء إعلامنا بماذا شغل محمد نفسه أثناء النهار في الأسابيع والشهور الطويلة عندما لم يكن ثمة أسواق؟ وهل كان محمد (ص) خلال هذه الأسابيع وعلى مدى خمسة عشر عاماً عاطلاً عن النشاط لا يدخل ولا يخرج أم كان خلالها يستيقظ ويتابع دروسه في "كلية اللاهوت" تحت إشراف الأستاذ والأستاذة في كلية تقوم على طالب أوحد؟

وفي ملاحظتنا الثانية نتساءل: ما هي المعلومات التي يمكن لخديجة وورقة أن يكونا قد "**خزناها وبرمجاها في ذاكرة العبقري**" حسب تعبير خليل إن كانت اليهودية والنصرانية والمسيحية والصابئة والمجوسية والحنيفية التي كانت مكة والأسواق الشهيرة متوفرة لكل طالب وتموج بها وتناقشها في صراع حرّ للفكر؟ لو كانت مكة تموج فيها هذه الأديان لما كان ثمة حاجة لورقة أن يتحمل مشاق السفر إلى بلاد الهلال الخصيب بحثاً عن دين التوحيد.

ولو كان لخديجة أو لورقة أي هدف تعليمي أو تثقيفي يمارسانه على محمد (ص) لكانا ابتدءا بألف باء الثقافة والمعرفة، أي بتعليمه القراءة والكتابة.

ويحاول خليل إقناعنا بأن السبب الرئيسي لنزول محمد (ص) إلى الأسواق كان من أجل طلب العلم والحوار الديني مع ممثلي جميع الديانات. وهذا باطل آخر. فمدة استمرار الأسواق قصيرة جداً كما رأينا، ويضاف إلى ذلك اعتراف خليل بأن نشر الوعي الفكري وإلقاء الشعر كان شأناً ثانوياً يرافق الأسواق بينما كانت التجارة هي الهدف وهي الأصل. فهو يكتب:

"**في زمن التجربة دأب العرب على إقامة أسواق في كافة بقاع جزيرتهم المباركة والذي يتصل بدراستنا التي تنصب على منطقة الحجاز ومنها عكاظ ومجنة وذو المجاز وأشهرها هو الأول وعلاوة على البيع والشراء والمقايضة وسائر ضروب التجارة انتهز الشعراء الفرصة لنشر قصيدهم والدعاة من مختلف الأديان والملل والنحل للدعاية إلى عقائدهم.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٢)

ومن أجل دفع القارئ في الاتجاه الذي يدعم الفكرة بأن محمداً (ص) لم يمارس نشاطاً تجارياً في الأسواق كتب خليل:

كانت خديجة "**تناديه من موقع الأم الرعوم**[37] **التي تكبره بربع قرن وتقول له:**

اذهب يا أبا القاسم [إلى الأسواق] واختلط بأهلها والوافدين عليها وناقلهم الحديث واستمع إليهم واستوعب كلمهم خاصة أصحاب الأديان والملل والنحل مثل اليهود والنصارى والمجوس والصابئة...."

...

...

فيسأل متعجباً = ولكن ماذا عن البيع والشراء والمتاجرة؟

وقبل أن يكمل كلامه تقاطعه: اطرح كل هذا وراء ظهرك ودبر أذنك ولا تفكر فيه البتة فسوف أكفيك مؤونته كله فإنك لم تخلق للصفق في الأسواق....هيا ياحبيبي يا أبا القاسم."[38]

ويستمر خليل: "**وبعد أن يسير شوط** [شوطاً"؟] **كبيراً في الفصل الأول من فصول التجربة تتدرج به في الشطر الآخر من ذات الفصل وهو مدارسته فيما سمع وحفظ واستوعب ومذاكرته فيما جمع فأوعى وتبسيط الصعب وحل المعقد وفك الملغز وتقريب البعيد وشرح المشكل وتفسير الغامض وتوضيح المتشابه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٦)

---

[37] - هكذا وردت عند خليل. وفي موضع آخر كتبها: "الرؤوم."

[38] – وعند "**أبا القاسم**" أيضاً وضع خليل رقم حاشية ١١١ ففتحنا الصفحة ٤٠٢ متوقعين أن نجد أصل النص ومن أين جاء به فإذا به لا يوثق كلمة واحدة مما ادعاه وإنما يشرح لنا بأن خديجة كانت تنادي محمداً بابي القاسم وأنها ندر أن خاطبته بـــ "يا رسول الله". ونحن نرى في هذا الأسلوب في استخدام الحواشي استهتاراً بالقارئ وتجاوزاً على الأمانة العلمية.

نحن نعترض على أسلوب خليل عندما يتقمص شخصيتي محمد (ص) وخديجة (ر) دفعة واحدة ويختلق نصوصاً على لسانيهما بالشكل الركيك الذي لفقه. إنه ينسج من خياله فكرة تتناسب مع أغراضه ثم يبحث جاهداً عن جملٍ أو عن فتاتِ جملٍ يجعل منها سنداً لتلفيقه. لقد تمخض فكره عن سيرة اخترعها لمحمد (ص) وللأشخاص حوله ثم بدأ يُسَخِّرُ النصوص ويلويها على هواه ليّاً لا رفق فيه ليثبت وجهة نظره. وفيما يلي نأتي بمثال على إطلاقه لمعلومة سديمية ضبابية ثم سيره بها لجعلها حقيقة يستند إليها دون قيد أو شرط. فهو انطلق بجرأة وثبات إلى أن خديجة (ر) كانت ترسل محمداً (ص) إلى الأسواق ليحاور أصحاب الأديان والملل. وأعلمنا بأن محمداً (ص) زار سوق عكاظ وسمع بنفسه موعظة قس بن ساعدة التي ألقاها من على ظهر جمله. لكنه لم يجد بداً من التنويه إلى طعن ابن الجوزي، المؤرخ المرموق، بصحة القصة. لقد نوَّهَ به وأسقطه من حسابه بأن أعلمنا بأن الجاحظ أقر بصحة القصة. ولأن الجاحظ أقر بها أصبح طعن ابن الجوزي باطلاً واعتبر سماع محمد (ص) لخطبة قس بن ساعدة قصة حقيقة ثابتة.

ولأن قصة سماع محمد (ص) لخطبة قس أضحت "**حقيقة تاريخية**" ثابتة استنتج خليل أن مشي محمد (ص) "**في** [الأسواق الأخرى] **غير عكاظ مثل مجنة وذي المجاز أمر طبيعي..**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٥). وبذلك أصبح دوام محمد (ص) المستمر على الأسواق حقيقة ثابتة. ووصل بخليل الأمر إلى أن جعلَ محمداً كان يزور كل سوق منذ الصباح حتى المساء لا يشذ عن ذلك ولا ساعة واحدة!! فقد كتب: " **العقل يحتم أنه** [محمد ص] **لا بد أن يؤمها من أول ساعة تبدأ فيها حتى تنفض لا يتخلف عنها يوماً ويدور عليها أينما أقيمت...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٢) ونحن نتساءل: أي عقل "**يحتم**" ذلك ومن أين ابتدع لنا هذا الحكم؟

لكن ثالثة الأثافي في ضبابية خليل نجدها في قوله: "**وكأني بسيدة قريش تناديه من موقع الأم الرؤوم...:إذهب يا أبا القاسم واختلط بأهلها والوافدين عليها وناقلهم الحديث...**" إلخ.. كما اقتبسنا قبل قليل. أي أن خليل اختلق من عنده ومن لدنه الفضفاض احتمال دعوة خديجة لمحمد (ص) اختلاقاً!!! فهو يعترف بذلك بنفسه إذ يقول: "**وكأني**"

لنجمع الحصيلة من كل ذلك:

سماع محمد (ص) لموعظة قس بن ساعدة أمر غير موثق وإنما الشك فيه هو الموثق.

حضور محمد (ص) للأسواق الأخرى غير موثق أيضاً وإنما هو مبني على كلام مشكوك به أصلاً.

أما مناشدة خديجة (ر) لمحمد (ص) أن ينطلق إلى الأسواق فهو مبني على قولين مشكوك بهما مرتين. فهل يجوز لعاقل أن يجعل من هذا الضباب حقيقة تاريخية ويبني بناءه عليها؟

نعود إلى موضوع الأسواق حيث يعلمنا خليل بنفسه بأن الأساس فيها هو "**البيع والشراء والمقايضة وسائر ضروب التجارة.**" أما الدعاية للعقائد وإلقاء الأشعار فهو، استناداً إلى كلامه، عبارة عن "**انتهاز**" الشعراء للفرصة السانحة بوجود الأسواق. ويقر خليل بأن كثيراً من المفسرين القدامى والمحدثين رأوا أن محمداً كان "**يمشي في الأسواق أي يتردد فيها وإليها طلباً للتكسب والتجارة.**" [٣٩] ويعلمنا بمدى اهتمام محمد (ص) بها والتزامه بزيارتها فيكتب:

" **العقل يحتم أنه** [محمد] **لا بد أن يؤمها من أول ساعة تبدأ فيها حتى تنفض لا يتخلف عنها يوماً ويدور عليها أينما أقيمت لا ليبيع ويشتري ويتاجر ويفاصل إذ لا حاجة له بها بعد أن دلقت الهندوز** [(خديجة (ر)] **مالها بين يديه...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٢)

ولكل ذلك نستغرب كيف يعترف بأن الأسواق بالأصل هي للتبادل التجاري وأن التبادل الأدبي والفكري ظاهرة جانبية ينتهزها البعض ليفاجئنا بأنها تعني التبادل الفكري فقط!! ففي ذات الموقع يقتبس خليل الآية: "**وقالوا مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي**

---

٣٩ – خليل، صفحة ٣٢٠ . وهو اقتبسها من كتاب: "التيسير خلاصة تفسير ابن كثير" لمحمود سالم طبعة أولى صفحة ٨٠٢

في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً."[40] ويستخلص منها أن محمداً (ص) كان يتجول في الأسواق للحوار الفكري والديني. ولكن الآية تتحدث عن أكل الطعام والمشي في الأسواق ولا تذكر تبادل الأفكار بحرف واحد ولا تشير إليها لا ظاهراً ولا ضمناً. فكيف يستنتج خليل أن الهدف من الآية هو التبادل الفكري ولا علاقة للتجارة فيه؟ نحن لا نرى بأساً من أن يدمج أمراً معقولاً في المعنى ولو كان هذا الأمر غير مذكور أبداً في النص. أما أن يلغي المعنى الواضح المنصوص عليه بدقة مستبدلاً إياه بمعنى غير مذكور على الإطلاق فهذا تجاوز على العلم إن لم نقل إنه فسق فكري. كيف ينفي علاقة أكل الطعام والمشي في الأسواق بالنشاط التجاري ليستنتج بأن الآية تعني نشاط محمد (ص) فكرياً حصراً ؟ كيف يتهم بعض مفسري القرآن الذين قرنوا مضمون الآية بالتجارة "**بقصر في العقل وسوء في الرأي ومادية غالية أضلتهم السبيل وأعمتهم عن الصراط المستقيم.**" ؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٠)

لا شك إذن بأن الأساس في نشاط محمد (ص) في الأسواق كان التجارة والبيع والشراء والربح. وبذلك يحطم خليل بنفسه ادعاءه بأن محمداً (ص) كان يعيش على حساب خديجة (ر).

والجميل المفاجئ في نصوص القرآن الكريم أن الآية التالية من سورة الفرقان (التي تجاوزها خليل وكأنها لم تكن) تقول:

"**أو يُلقى إليه كنزٌ أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا.**"

عندما ننظر في نص الآيتين معاً نجدها تعبر عن استغراب الكافرين أن محمداً يمشي في الأسواق ويأكل كما يفعل البشر ويتساءلون لماذا لا يلقي الخالق إليه بكنز ليوفر عليه عناء كسب المعاش؟ عند هذه النقطة بالذات نجد الفرصة لنتحقق مجدداً من الانحراف المستحكم في محاكمة خليلٍ للأمور. فلو كان محمد (ص) يبعثر أموال خديجة (ر) لكانت

---

[40] - الفرقان ، آية ٧

فكرة الكنز حقيقة واقعة تتفق مع تصور الكافرين ولما استغربوا عدم توفر كنز لدى محمد (ص). أما لو كان محمد (ص) يبعزق أموال زوجته لاتهمه الكافرون ببعزقة أموال زوجته المسكينة.[٤١] ولأن محمداً لم يتعامل مع ثروة زوجته بإسراف فيصرفها كما يشاء، ولأنه لم يصرف المال إلا في الحدود التي لا تستثير مساءلة الحاقدين عليه، ولأنه كان يمشي في الأسواق ليتاجر ويكسب... لذلك سأل الكفار لماذا لم يمنحه ربه كنزاً.

عندما كتب خليل في كتابه "**قريش**...":

"**إذن فقريش هي التي سعت لنصب تلك الأسواق في موسم الحج الأكبر وأمنت للوافدين إليها الأمن والحماية والخدمات لأن تلك الأسواق كانت تأتي لصناديد مكة والطائف بالأرباح الوفيرة والمكاسب الهائلة، إذ البيع والشراء عماد ثروة قريش.**" رَسَّخَ الفكرة بأن الأسواق كانت تُقام بالأساس للتجارة (خليل، "قريش من القبيلة.." صفحة ٣٣٥)

إذاً فالأسواق كانت تقام للتجارة، وإذا كان محمد (ص) ضليعاً بها كما نعرف ويعرف كل الناس، وإذا استمر حتى زواجه يمارسها بنجاح فما هو الدافع ليتراجع فجأة بعد عقد الزواج عن الاستمرار في ممارسة ما كان يقوم به ؟ لو كان هو الذي أمسك بزمام المبادأة "فغرر" بخديجة (ر) ليتزوجها "ويستولي على مالها" ثم ليصبح "عطالاً بطالاً" يتمتع بثروتها فلربما نقبل بوجهة نظر خليل. ولكنها هي التي أرسلت الرسول تلو الآخر إليه وذللت الصعاب ليتزوجها. وهي التي داست على كرامتها وأعربت له عن رغبتها فيه. ولا يوجد أي مؤشر في أي موقع من المراجع القديمة أنها طلبت منه الكف عن

---

[٤١] – يحدثنا خليل حادثة حصلت مع محمد (ص) عندما أقبل أحد المدينين إلى محمد (ص) ليوفي دينه "**فيرد عليه بما يفهم منه أن ذلك الأمر والمال لم يعد يعنيه.**" ويستنتج خليل: "**هنا نجد أن مديناً أقبل عليه ليوفي ما عليه فيرد عليه بما يفهم منه أن ذياك المبلغ لا يساوي في نظره شيئاً!!!**" ثم يعلق خليل: "**وكيف لا؟ أليست ثروة خديجة أصبحت ملك يديه وفي حوزته ورهن إشارته...**" (صفحة ٣٠٥)

استنتاج خليل مغرض. وكلام كاتب السيرة عن أن المبلغ لم يعد يعني محمداً (ص) لا ينم أبداً عن أن تصرفه كناية عن استهتار بالمال. والتاجر، أي تاجر يتعامل بالمال لا يستغني عن مبلغ يُعاد إليه وإنما ينطلق من المبدأ القائل: زيادة الخير خير. والحادثة بكاملها مبهمة أصلاً ولا نعرف شيئاً عن الظروف التي أحاطت بها.

العمل التجاري. فماذا دفعه ليذهب إلى الأسواق فينسى هناك كونه تاجراً فلا ينصرف إلا إلى استقاء الفكر الديني؟ كيف يدعي خليل بأن محمدا (ص) كان يتجول في الأسواق "**لا ليبيع ويشتري ويتاجر ويفاصل**" وأنه لم تعد له حاجة بالتجارة طالما دلقت عليه زوجته ثروتها؟ إن كل من استنشق ريح الفكر التجاري يعلم بأن ما لا ينبع ينضب. وكل ثروة تتلاشى إن لم ينشط المرء للحفاظ عليها ولإكثارها. فهل غاب ذلك عن محمد (ص)؟ وهل من مرجع عريق واحد يشير إلينا بأن خديجة (ر) مارست بنفسها أي عمل تجاري أو وظفت أي مدير لتجارتها بعد الزواج؟ ألم تكن طبيعة الموقف تشير إلى أنها رفعت يدها كلياً عن الاتجار بمجرد أن أصبح محمد (ص) زوجها فتركته يمارس التجارة بالشكل السليم القويم الذي عهدته فيه؟

ويخطر في البال فكرة أخرى: فإن كان محمد (ص) مواظباً على الأسواق جميعاً من أول ساعة حتى آخرها على مدى خمسة عشر سنة فماذا يبقى للهندوز واليعسوب من دور؟ إن كان الأثر الذي خطَّته الحوارات التي أجراها في الأسواق في فكر النبي هي العامل الأهم فما هو دور الاثنين؟ وإن كان الاثنان هما اللذان حقنا النبي بالعلم الديني فما هو دور الأسواق؟ هل كانت زوجته ترسله إلى الأسواق ليتعلم علماً متوفراً لديها ولدى ابن عمها بشكل ناضج يبلغ الكمال أو يكاد؟ ألم يخشَ الإثنان من أن تنقلب القناعات التي كانا يعطيانها لمحمد (ص) كلما تجول في الأسواق وحاور الناس فيها؟ ألم يضعا في الاعتبار أن الرجل اللين المطاوع غير المشاكس قد يتأثر بآراء لا تتفق مع رغباتهما فينقاد إلى عكس ما خططاه له؟

خمسة عشر سنة قضاها محمد (ص) قبل الدعوة يتجول في الأسواق نهاراً ويخضع لعمليات التلقين والتدريب والصنفرة والقلوظة في الليالي. لقد كان "التلميذ" الوحيد في "جامعة" خديجة وورقة اللاهوتية. أستاذان توليا أمره ورهنا عشرات السنين من عمريهما لتدريبه. فهل لم ينضج في تلقيه العلم إلا بعد أن بلغ ورقة أرذل العمر وأصبح مريضاً أعمى وأصم؟

وحول أسلوب التدريس وسهر الليالي نقرأ عند خليل:

"وهنا نذكر بقيام ورقة بالتدريس وبترجمة صحائف من الكتاب المقدس وقراءة الطاهرة لها ... واستيعابها ثم تلقينها وتحفيظه إياها. بقي التطبيق العملي الذي مارسته بحذق ومهارة يعز مثلهما ونفذه الابن البار المتفاني في المحبة والمهاودة- نفذه بصورة عرية من الضروب ولا غرو فهو عبقري لا يفرى فريه أحد ومنذ ظهوره المبروك لم تر له جزيرة العرب نظيراً وحتى مقارباً" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٦)

لنختبر مضمون هذا الكلام بهدوء وتؤدة. فورقة بن نوفل لم يتنصر (إن كان قد تنصر أصلاً) إلا بعد ولادة محمد (ص) بعدة سنوات. كانت خديجة (ر) آنذاك تبلغ الخامسة والعشرين من العمر. وبما أن ورقة لم يكن آنذاك قد اعتنق ديانة غير عبادة الأصنام ولم يكن قد اعتنق اليهودية ثم النصرانية، نستنتج أن تعرف خديجة (ر) على ديانة ورقة الجديدة لم يتحقق إلا بعد عدة سنوات من ولادة محمد أي أن عمرها يجب أن يكون قد ناهز الثلاثين. وعندما عاد ورقة من بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين حاملاً دينه الجديد لا بد أنه احتاج إلى فترة من الوقت ليقنع ابنة عمه خديجة (ر) وهي الذكية اللامعة الناقدة المتنبئة بالديانة الجديدة فيعلّمها الأسفار ويقنعها بفكرة تدفعها دفعاً إلى مغادرة ديانة آبائها وأجدادها والدخول في دين جديد يجعل مَنْ حولَها ينظرون إليها مستغربين أو مستنكرين. ونحن نعلم أن أبا طالب، عم محمد (ص) اعتذر من ابن أخيه لعكوفه عن اعتناق الإسلام لمجرد عدم ارتياحه لفكرة ترك ديانة الآباء والأجداد. وخديجة (ر) لا يمكن لها إلا أن جذورها العائلية والقبلية مرتبطة بمجتمعها كما كان الأمر مع أبي طالب. من كل هذه المقدمات نستنتج أن خديجة (ر) لا يمكن لها أن تكون قد تشرَّبت دين ورقة إلا بعد عملية فكرية ليست بالسهلة جعلتها تخطو خطوة كبيرة وجريئة لا يمكن لمن يتخذها أن يصبح داعية قائماً بذاته خلال فترة قصيرة نسبياً. فهل انقلبت خلال بضعة سنوات فقط من الوثنية وأصبحت راسخة في ديانة حديثة بالنسبة لها إلى حد أن أصبحت هي صانعة أنبياء؟ لماذا انحصرت اهتمامات خديجة (ر) بمحمد (ص) دون غيره ووضعته تحت مجهر التجارب ولم تحاول فتح مدرسة بكاملها لأفكارها الجبارة فتنشرها وتفتخر بنشرها أمام نساء قريش وشبابها؟ إن كانت خديجة (ر) دعت إلى أي دين، وإن

كان لها سبب جعلها تعلم محمداً ديناً جديداً فلماذا لم تُقِم حلقة تدعو إليها كل من يتقبل مثل هذا الفكر الديني المتميز؟ لماذا اقتصر نشاطها على محمد إن كانت العقيدة التي علمته إياها للنشر على الملأ؟ هل اقتصر مفعول علمها وقوة شخصيتها وإيمانها على إنسان فردٍ وحيد؟

ب - لماذا لم تتزوج ورقة؟

ولماذا تتزوج محمداً (ص) إن كانت قد قررت تعليمه وتدريبه على ممارسة النبوة؟ وهل يتوجب على كل أستاذ معلم أن يتزوج تلميذته وعلى كل أستاذة أن تتزوج تلميذها إن أرادا تعليمهما ؟ إلى أين يقودنا هذا الأسلوب في تطور المجتمعات إن كانت كل أستاذة تتزوج تلميذها ليصبح التعليم فعالاً وناجحاً؟ وهل يصح أن يتزوج كل أستاذ قدير من كل تلميذة فائقة الذكاء ليتمكن من "صنفرتها" و "قلوظتها" خلال ساعات التدريس؟ وهل لنا أن نتصور الفوضى العجيبة التي تنتج عن مثل هذه الصور؟

ويدفعنا منطق البحث عن الحقيقة إلى أن نعرج على توفر رغبة سابقة لدى ورقة ليتزوج من خديجة فلم يتوفق له ذلك. (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١٨) فإن كان هو العالم العليم الذي قال لأخته قتيلة بأن محمداً (ص) ابن آمنة وابن عبد الله سيكون النبي المنتظر وإن كان يرى في ابنة عمه خديجة (ر) من الصفات ما يمكنها من صنع النبي فلماذا لم يكافح من أجل الزواج منها لتقف معه صفاً واحداً في عملية تصنيع النبي؟ إن خليل أعلمنا برأيه ووصف لنا بإسهاب كم تكبدَّت خديجة (ر) من جهود وبذلت من مال وذللت من صعاب لتفوز بالزواج من محمد (ص)، ووصف لنا خليل صفات خديجة الخلاقة فكراً وأدباً وذكاء ومواهب فكيف لم تُضِفْ مواهبها وقدراتها إلى مواهب وقدرات ابن عمها وتتزوجه لتضمن وحدة الإدارة في تصنيع النبيّ؟ لماذا لم يَقُمْ كلٌّ منهما من

جانبه بخطوات تؤدي إلى تمهيد الطريق وشقه باتجاه الآخر من أجل إنجاز اللقاء المشترك الذي يوحد بين المقدرتين الجبارتين والإرادتين الحديديتين؟

وترملت خديجة (ر) من زوجها الأول. أفلم تفكر في الارتباط بابن عمها ورقة بدلاً من أن تتزوج الثاني؟ ثم انفصلت عن زوجها الثاني الذي تركها وهاجر إلى الحبشة، فهل لم تكن قد اكتشفت بعد مدى العون الذي يمكن لورقة أن يمدها به في عملية التصنيع الكبرى فتتزوجه؟ وهل يُعتبر زواجها من الشاب القرشي تسهيلاً لعملية تصنيعه نبياً أم إنه شكَّلَ عقبة بعد أن ارتفاع الكلفة بين الزوج والزوجة؟ ألم يدرك خليل أن الاستقلال العقلي لمحمد (ص) وكون زوجته لا تتدخل في ما يعتمل في عقله من أفكار إطلاقاً هو الذي ساعد على انطلاقه في الأمر الكبير الذي كان بصدده وأدى أخيراً إلى نجاحه الكبير.؟

ألم تكن خديجة (ر) مجرد سيدة كريمة وفاضلة وميسورة وذات نسب أحبت هذا الشاب الرائع بكل المقاييس بعد أن تعرفت عليه عن قرب عندما وظفته عندها واكتشفت الخلال الحميدة التي اتصف بها فرغبت به زوجاً فأرسلت إليه وصيفتها أو صديقتها نفيسة لتستمزج رأيه قبل أن تطرح نفسها عليه ثم فرحت أن قبل بها زوجاً فتزوجته؟ لماذا يعقد خليل الأمور ويحملها ما لا تحتمل فيضخم خديجة (ر) تضخيماً شديداً يسيء إلى ذكراها أشد الإساءة دون أن يفيدها بشيء ودون أن يقنع أحداً بأنه كان لها دور في تصنيع النبيّ؟ ترى هل سعى خليل إلى تضخيمها إلى هذا المدى بقصد نسف احترام المسلمين لها؟ إن تضخيمها من جهة والتقليل من شأن النبي ودوره في الدعوة يبدو هدفاً مزدوجاً للكاتب غير المنصف خليل عبد الكريم.

إني آخر من تخول له نفسه أن ينال من مقام السيدة خديجة (ر) ولكني أرى في حشرها في قوالب لا تناسبها ولا تتلاءم مع ما نعرفه عنها إساءةً إليها وإلى محمد (ص). فمن هي حتى تصقله وتدربه وتشذبه وتصنفره؟ هل كان محمد (ص) مجرد عجينة تطوعها تطويعاً ثم تضعها في الشمس ريثما تجف ثم تصقلها بورق الصنفرة؟ هل كان محمد (ص) تربية امرأة صنعته فما كان له أن يسود في عالم الفكر والدين لولا تكفلت به امرأة متزوجة مرتين وأم لأولاد لا نعرف عددهم حصراً ولم يثبت في أي مرجع من

مراجع العلم والتاريخ أنها كانت متعلمة؟ هل كان محمد (ص) طيّعاً في يدها تحركه وتَنْحَتُ في خامته كما يحلو لها؟ أليست هي التي سُحرت وأُخِذَت بالمضامين الإنسانية السامية التي جاء بها الإسلام؟

ب - الخلوة

يضع خليل الخلوة في مكانة متميزة ويعتبرها من أهم عناصر التجربة. ولكننا قبل أن نشرع في معالجتها نشير إلى أمر لا يخلو من طرافة لأن خليل الذي يعتمد على موضوع الخلوة اعتماداً قوياً ويناقشه بدقة ظاهرة فاجأنا بنصوص تشكك بأحداث غار حراء أصلاً. إنه يقول مثلاً:

"وإذ أن الشيء بالشيء يذكر فإن واقعة مغارة حرى ومقابلة جبريل لمحمد فيها مناماً لا نقرأها في المصحف الشريف الأمر الذي دعا بعض البحاث لعدم تصديقها أو الأخذ بها.

كما أنه من الملفت للنظر إلى أن السور الملكية [٤٢] التي ظل (الأمي) يتلوها على تابعيه لمدة ثلاثة عشر عاماً خلت تماماً من اسم جبريل." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠٣)

من تشكيكه بموضوع الخلوة نستنتج وجود التباس أو إبهام في قناعاته الأساسية أو أن الأمور اختلطت عليه. ولكننا لا نقف طويلاً عند هذا التشكيك وإنما نتابع مناقشة آرائه حيث أكَّدَ بأن خديجة هي التي دفعت محمداً إلى الخلوة. فقد كتب:

" **الخلوة أو الخلاء تم فعلاً من باعث من البشر الطاهرة المطهرة خديجة، إذ لم يعرف عن (الفرط) [٤٣] حبه للخلاء قبل أن تصير له بعلاً."** (خليل، فترة التكوين، صفحة

---

[٤٢] – لا شك في أنه يقصد "مكية"

٣٧٠) بل إن خليلاً يرى أن خديجة دفعته إلى الخلوة كخطوة أخيرة للتجربة التي مارستها على محمد (ص) فهو يقول:

أ – أن الطاهرة هي التي وزت (الماحي) على دخول آخر مراحل التجربة الفاذة وهي مرحلة (الخلاء)" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨٩)

وبكلام آخر يقول خليل بأن محمداً (ص) مارس الخلوة بعد زواجه من خديجة (ر) ويرى أنها دفعته إليها بعد زواجها منه بعشرة أعوام. [٤٤] ولكن كيف يدعي ذلك يا ترى إن كان محمد (ص) قد مارس الخلوة منذ كان صبياً ؟ فجده عبد المطلب أول من تحنث في حراء وكان معروفاً عنه حبه لحفيده ومصاحبته له أينما ذهب. وقد تحدثت مرضعة الرسول حليمة السعدية عن طباع محمد (ص) عندما كان صبياً فقالت:

"وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحده." (ابن هشام، ج ١ ص ٢١٦)

والأب جوزيف قزي، الذي تستر تحت الاسم المستعار: أبو موسى الحريري كتب:

"ولكن، لم يك محمد يعرف وحْدَهُ أهمية الخلوة إعداداً للنفس وانقطاعاً إلى الله لو لم يتعرف على أناس مارسوها قبله، ولو لم يتبع في ذلك مسيرة جده وندماء جده أمثال أبي أمية بن المغيرة والقس ورقة بن نوفل وغيرهما. فعن هؤلاء أخذ محمد الطريقة. وعلى خطواتهم سار في إعداد حياته الروحية ورسالته العلنية بين الناس." (حريري، صفحة ٤٣)

إن الفقرة واضحة جداً لأنها تحدد كثيرين بالاسم وبدون اسم ممن كان محمد (ص) على اتصال بهم منذ طفولته المبكرة أيام جده. وعن هؤلاء أخذ محمد (ص) طقوس الخلوة فتبع مسيرتهم وسار على خطواتهم. فكيف يدعي خليل أن محمداً لم يمارس الخلوة

---

[٤٤] – كتب خليل: "(مرحلة الخلوة(بدأت قبل سنوات خمس من حدوث الرؤيا المنامية التي رآها..في حرى. وإذ أنها وقعت له وهو في الأربعين من عمره المبروك فبالتالي يصير بدء المرحلة الأخيرة (الخلوة) وهو في الخامسة والثلاثين." (صفحة ٣٧٣)

إلا بعد عشر سنوات من زواجه من خديجة (ر)؟ إنه هو الذي يحشرها حشراً في مواقف حرجة لا ناقة لها فيها ولا جمل ولا يوجد أي مرجع نقل عنها إدعاءها بأنها قامت بمثل هذا الأمر. فإلى أين يسير خليل بالقارئ وبالمعرفة؟

ولم يكتف خليل بالادعاء بأن خديجة (ر) أشارت على محمد أن يعتزل في حراء وإنما شدَّدَ على أنها رافقت محمداً (ص) إلى الغار باستمرار. إنه يكتب:

" **ويكفي ملازمتها لـــ (إمام المتقين) كلما راح لغار حراء الذي يبعد عن دارها ثلاثة فراسخ الصعب المرتقى الضيق المولج.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٩٥)

يلفت إصرار خليل الأنظار على أن خديجة رافقت محمداً إلى الخلوة. إنه يستند كلياً إلى المراجع التي تتحدث عن أن محمداً (ص) كان "**يذهب مع أهله**." إلى حراء ويورد اقتباسات سبعة من مصادر سبعة هي:

١ – سيرة ابن إسحق: **(وخرج معه أهله)**

٢ – سيرة ابن هشام: **(يخرج لجواره ومعه أهله)**

٣ – عن محمد بن اسحق: **(كما كان يخرج لجواره – معه أهله)**

٤ – عبيد بن عبيد: **(يخرج لجواره ومعه أهله)**

٥ – السيرة الحلبية: **(ومعه أهله أي خديجة)**

٦ – شمس الدين الذهبي: **(خرج – ص – إلى حراء ومعه أهله)**

٧ – ابن كثير: **(ومعه أهله)**

ويعقب خليل على هذه الاثباتات التي يصفها بـــ "الدامغة" بقوله:

سبعة مصادر من الذرى الشامخة والقمم العالية والقلل المنيفة من كتب التراث في السيرة المحمدية التي هي أطيب من ريح الخزامى تنص صراحة وبلا جمجمة على

وجود الطاهرة المطهرة مع (أبي القاسم) وهو يتحنث أو يتحدث في الغار الكائن أعلى جبل حراء." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧٦)

ونتيجة لمجموع ما أورده من "حجج وبراهين" يضع أمام أعيننا المعلومات التالية بتحدٍ ليس له حدود:

" إذن الثابت من جماع ما طرحنا أمام بصيرة القارئ وباصرته:

أ – أن الطاهرة هي التي وزت (الماحي) على دخول آخر مراحل التجربة الفاذة وهي مرحلة (الخلاء)" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨٩)

ب – أنها في كل مرة لازمته فيها ملازمة الظل لا تتركه يغيب عن عينها لحظة واحدة أو حتى طرفة عين." .... (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨٩)

ج – أنها اختارت له هذه المرحلة لأنها من ثقافتها الدينية ذات المصادر المتعددة أدركت خطرها.

د – أنها لم تفكر مجرد تفكير في المتاعب والمصاعب والجهود والمشاق التي سوف تتعرض لها وهي تذهب معه في كل عام شهراً كاملاً إلى الجبل...." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٨٩)

" نأمل أن التوفيق حالفنا ونحن نضع تحت باصرة وبصيرة القارئ الأدلة الدامغة والبراهين الساطعة والحجج القاطعة سواء من المعقول أو صريح المنقول على أن خديجة هي التي دفعت محمداً على ولوج مرحلة (الخلوة)" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧٩)

ثم يسأل سؤال الواثق من سلامة استنتاجاته:

" ألم تصبح بعد كل ما قدمناه حقيقة تاريخية لا يماري فيها إلا شكس ولا يعارضها إلا مناكف ولا يشكك إلا معاند ولا يقدح فيها إلا لجوج ولا يعيبها إلا يلنند" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧٦)

دعانا تكرار خليل اللطيف إلى الابتسام وكأنه، بتكراره، يضفي على ادعاءه قوة لا رادَّ لها. ولكن يؤسفني أن أكون شكساً، مناكفاً، معانداً، لجوجاً، ويلنندا. لأني ساثبت في الفقرات التالية أن كلامه ليس صحيحاً. هذا مع الاعتراف بأني لم أفهم كلمة: "يلنند".

إننا نرفض ادعاءاته ونضع المعلومات الثلاثة التي استنبطها خليل أمامنا لنجيب عليها:

١ - خديجة رافقت محمداً (ص) كلما انطلق إلى غار حراء.

٢ - كانت تلازمه ملازمة الظل لا يغيب عنها طرفة عين.

٣ - غادر محمد (ص) غار حراء والتقى مع جبريل وقلقت زوجته لغيابه الطويل فأرسلت رسلها للبحث عنه حتى وصلوا إلى مشارف مكة.

ثم لنسأل: كيف يمكن توليفها مع الأسئلة الثلاثة التالية:

١ - كيف يجري الحديث عن خلوة إن كانت الزوجة والمرافقون متواجدون مع محمد (ص)؟ فغار حراء معروف محدود السعة وليس بفندق مريح يتسع لمحمدٍ ومعه أهله والزوار الآخرون من المتحنفين.

٢ - كيف كانت تلازمه ولا تتركه "**يغيب عن عينها لحظة واحدة أو حتى طرفة عين**" ثم نجده قد غاب عنها لفترة طويلة جعلتها تقلق عليه فترسل رسلها للبحث عنه؟

لو كانت خديجة (ر) تشاركه الإقامة في الغار فلا بد أنها شهدت لقاءه مع جبريل أو أنها كانت هناك عندما تصوَّرَ أو حلم بأنه رآه. وبذلك يسقط الادعاء بأنه عاد إليها في البيت وقال لها: دثروني دثروني أو زملوني زملوني. ولو كانت معه في الغار فلماذا يغادره بعيداً في اتجاه مكة وتقلق عليه وترسل الرسل للبحث عنه في بيوت أقاربه إلى أن عاد إلى الغار ليجلس في حجرها؟

ولدينا تساؤل نكرره بكلمات أخرى: فغار حراء ليس فندقاً. وعندما يدخل محمد (ص) ومعه أهله بما في ذلك خديجة (ر) يمتلئ الغار. ولكن المقبلين على ممارسة الخلوة كثيرون من متحنثين ومتحنفين! ولا نظن أن أحداً منهم يتنازل عن خلوته لأحد آخر. فإذا

ما اجتمعوا فهل يكونون في خلوة أم في تظاهرة صاخبة فيها هرج ومرج؟ أين كانوا يأكلون ويشربون ويقضون حوائج الإنسان الطبيعية؟

ولكننا لا نكتفي بهذه القرائن وإنما نحسم قضيتنا مع خليل بإبراز لجوئه إلى التزييف المتعمد. فلقد دفعتنا الإستشهادات السبعة من "الذرى الشامخة السبعة التي أوردها إلى التدقيق فيها وعلى رأسها اقتباسه "الموثق" من السيرة الحلبية حيث يثبت بأن خديجة كانت تلازمه دوماً في حراء. وسنكون حريصين لدى معالجة هذه النقطة على عنصر الدقة لنثبت استهتاره بالقراء وعبثه بالقيم العلمية. إن ما دفعنا إلى صبّ اهتمامنا بشكل خاص على اقتباسه من السيرة الحلبية يكمن في سببين رئيسيين. الأول هو اعتراف جميع من اطلع عليها واستخدمها برصانتها. أما السبب الثاني، وهو الأهم في هذه الحالة، فهو كونها الوحيدة من السبعة التي استند إليها خليل ذكرت اسم خديجة: "**ومعه أهله أي خديجة.**"

لقد فتحنا الجزء الأول من السيرة الحلبية، صفحة ٣٨٦ ووجدنا الاقتباس مطابقاً لما كتبه خليل تماماً ما عدا بعض الفواصل والنقاط التي لم تؤثر في المعنى:

"**بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف مكاني ذلك، ثم انصرف عني [جبريل] وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة أي في الغار فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها مستنداً إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي. أقول: وهذا يدل على أن خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه بغار حرا، وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي خديجة رضي الله تعالى عنها على ما تقدم.**" (هكذا ورد النص في السيرة الحلبية ونجده عند خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٧٥ مع بعض الفوارق التي لا تنال من المعنى)

نحن نلوم خليلاً أنْ لم يناقش النص الذي اقتبسه بنفسه. ولو فعل ذلك لوجد مآخذَ تستحق أن يراعيها الباحث كما سنرى بعد أسطر. ولكن مأخذنا على خليل أعمق من ذلك وخاصة بعد أن تبنى رأي السيرة الحلبية: "**وهذا يدل على أن خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه بغار حرا**"

إن النص يشير حقاً إلى أن محمداً كان مع زوجته في الغار. ولكن عندما تابعنا القراءة للفقرة التالية مباشرة وجدنا عجباً! فصاحب السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، كتب مباشرة كلاماً آخر متمماً للجزء الذي صرَّحَ عنه خليل والذي نقتبسه من السيرة الحلبية بالحرف:

"**أقول** [مؤرخ السيرة الحلبية] **وهذا يدل على أن خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه في حراء، وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي خديجة رضي الله عنها على ما تقدم. وقد يخالف ذلك ما روي أن خديجة رضي الله عنها صنعت طعاماً ثم أرسلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده في حراء فأرسلت في طلبه إلى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده فشق عليها، فبينما هي كذلك إذا أتاها فحدثها بما رأى وسمع، فإن هذا يدل على أنها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم في حرا.**" (ج ١ صفحة ٣٨٦)

لو كانت هذه الفقرة التي اعتمدها خليل، وهي تنقض التي سبقتها تماماً، قد وردت في كتاب آخر أو في موقع بعيد تماماً عن الفقرة التي اعتمدها لقلنا إنه ارتكب خطأ غير متعمد يقع فيه الكبير والصغير. لكن فقرة النفي التي يمكن اعتبارها ناسفة لرأيه جاءت فور انتهاء الفقرة التي اعتمدها. فهل غابت عن بصره؟ وما هي مصداقية كاتب يقرأ ما يعجبه حتى سطر معين ولا يتابع ما هو موجود بعد سطر واحد؟ ألا يذكرنا هذا بهؤلاء الذين يستنكفون عن الصلاة استناداً إلى نصف الآية التي تقول: "ولا تقربوا الصلاة" ؟

ولا يفوتنا أن نشير إلى كلمات السيرة الحلبية: "**خديجة رضي الله عنها صنعت طعاماً ثم أرسلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده في حراء**" فإن إرسالها الطعام إلى حراء يفيد بأنها كانت في مكان آخر.

ونختتم تنديدنا بعلمية أسلوب خليل في موضوع وجود خديجة (ر) في حراء مع محمد (ص) باقتباس من كتابه بالذات حيث كتب

"ثم انصرف (= ملاك الرب جبرائيل ثم انصرفت إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً لها – يعني ملتصقاً." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٨٩)

إذن فانصراف جبريل الذي تبعه انصراف محمد (ص) هو أمر اطلع عليه خليل ولكنه تجاوزه عن عمد وسابق إصرار.

شخصية محمد (ص)

لا شك في أن محمداً (ص) كان موضوعنا الحقيقي في كل صفحات الكتاب. ولكننا نفرد له عنواناً نعالج فيه جانباً آخر من شخصيته.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. مات أبوه قبيل ولادته وماتت أمه وهو في السادسة من عمره. عاش في كنف جده عبد المطلب إلى أن توفاه الله وبعد وفاة الجدّ أخذه عمه أبو طالب ليعيش ضمن عائلته.

ينطلق خليل لدى بحثه لحياة النبي من كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب. يتبنى هذا الرأي بالرغم من محاولات كثيرة للباحثين إثبات إلمام محمد (ص) بالقراءة والكتابة، ومن أهم من نشط لإثبات ذلك الحريري والحداد. فهل لم يطلع خليل على كتبهم التي صدرت قبل أكثر من عشرين عاماً من صدور كتابه؟

أورد خليل صفات شديدة الإيجابية لمحمد (ص) ثم جاء بصفات أخرى تحتاج إلى نقاش. أما الصفات الإيجابية فنطلع عليها من خلال مجموعة الاقتباسات التالية:

يقول خليل إن ورقة بن نوفل "**لمس فيه** [محمد (ص)] **مميزات وصفات وخصائص كلها سام وشامخ مثل قوة فطرته وذكاء خاطره وثبات جنانه وفصاحة لسانه وحلمه وكرمه وصدقه ومروءته.** "

وكتب خليل فيما كتب عن: "**(محمد) وعذوبة حديثه وكيف أنه سحره** [سَحَرَ ميسرة أثناء مرافقته له إلى الشام] **وسائر من في القافلة وسائر من تعامل معهم من المشترين والبائعين وغيرهم بجمال منطقه وحسن كلامه** ..." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٣)

وفي مواضع كثيرة أخرى وصفه بكلام مثل: " **أعظم الفصحاء وسيد البلغاء ومقدم المبينين وزعيم اللسنين وقائد الذربين.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٤)

ويتابع خليل التعبير عن سمو شخصية محمد (ص) وقوتها وتَميُّزها بقوله:

" **بيد أن الذي لا مشاحة فيه أن كلاً من القس ورقة وأمية لم يتمتع بالشخصية الكارزمية التي تهيمن من النظرة الأولى على المحيطين بها وتحولهم إلى تابعين أمناء لتلك الشخصية مثل (سعيد) الذي تحدثنا سيرته التي هي أطيب ريحاً من العود الصنفى كيف أن الرجل من أولئك وهو صنديد وسيد مطاع في عشيرته ما إن يقابله حتى يستحيل إلى تابع مطيع ومسود سلس القياد.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩١)

وفي ذات الاتجاه والمعنى كتب خليل:

"**طالعنا في دواوين السيرة المحمدية التي هي أطيب من ريح الخزامى عن شخصية (الصبور)** [المقصود محمد (ص)] **القوية الآسرة وكيف أن أشخاصاً ملأ قلوبهم الحقد عليه والعداوة له ما إن قابلوه حتى غدوا من أخلص تابعيه.** "

وكتب أيضاً:

" **(الشكار) عندما نكحته الطاهرة في مقتبل شبابه وتمتع بالصفات الجسدية التي ألممنا بشطر منها وبشمائل باهرة ومناقب منيفة وخصائص حميدة منها: طلاقة اللسان وقوة العقل وسلامة الفطرة ونفاذ البصيرة وسعة الأفق وحدة الذكاء وصلابة الشكيمة ومضاء العزيمة واستقامة الخلق وصدق القول وأداء الأمانة والوفاء بالعهد ونكتفي بهذا لأننا لا نستطيع حصرها. وككاتب هذه السطور يؤمن أن أمة العرب عقمت عن إنجاب ضروب له.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٥)

وعن قوة ذاكرته يكتب خليل:

"**...عوض الأمية بذاكرة واعية وحافظة تسمع الجملة فتخزنها وتستوعبها لا تخرم منها لفظة مفردة. هذه الذاكرة العبقرية لعبت دوراً لا مثيل له في الخطورة إبان التجربة**

فقد وسعت جميع الدروس والمعلومات والمعارف التي طفقت تتلقاها في جلسات المدارسة وحلقات التعليم وليالي المراجعة إن على يد الهندوز أو اليعسوب." (٣١٥)

في الحقيقة نجد في مجموعة تلك الصفات ما يحيط بشخصية محمد (ص) من كل جانب فيسمو بها عن كل البشر. ولا يسعنا إلا أن نقول له مرحى على هذا الوصف الصائب. ولكننا نُذَكِّره في ذات الوقت بأن إنساناً له هذه الأوصاف أهل لأن يكون الينبوع المتفجر الذي يلحق به ويتبعه الرجال والنساء، الصغير منهم والكبير، وليس العكس. رجل كهذا يدفع الأبواب ويركب الصعاب ويدير دفة السفن ويقف بما لديه من عزم جبار وراء الأمر الكبير الذي يسعى إليه.

ويعلمنا خليل عن صفات أخرى لمحمد (ص) يدعي أنه أول من اكتشفها دون غيره فيقول بأن خديجة أرادت بزواجها منه "**التعرف عن قرب قريب على مدى مطاوعته وملاينته ومسالمته وهل لديه ولو ذرة واحدة من المعارضة والمناوأة والمشاكسة...الخ.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٤٥)

فهذه صفات تبدو محايدة إذا ما قيمناها تقييماً عادياً. ولكنها عند خليل تكتسب سلبيةً لا يستهان بها. فمحمد (ص) طيع ولين ولا يعارض ولا يناوئ ولا يشاكس. ومن يتصف بتلك الصفات يكون من السهل على المرء أن يؤثر به وبقراره. فحسب رأي خليل تأكدت خديجة (ر) من كونه طيعاً ليناً لا يشاكس فكيفته على الشكل الذي ارادته. وهذا الوصف لا يتفق مع واقع محمد (ص) ولا ينسجم بحال من الأحوال مع الأوصاف التي نقلناها نقلاً عن خليل قبل قليل.

ويصفه أيضاً بأنه "**خجول كالعذراء المخدرة**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٩ – ٢٩٠)

ونحن نجيب بأن هذا الوصف لا يمكن أن ينطبق على محمد (ص). وننطلق في اعتراضنا عليه من منطلقين. الأول هو أن الخجول هو الذي يبقى أبداً وراء الأبواب ولا يجاهر بآراء اصلاحية ثورية يتحدى بها طبقة حاكمة استتب لها الأمر في قيادة الملأ، ولا

يؤسس ديناً يبلغ أتباعه أكثر من مليار إنسان. والخجول لا يقيم دولة جبارة استطاعت بعد قليل من كسر أكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك. أما المنطلق الثاني فهو لغوي دقيق. فالخجول امرؤ ارتكب عملاً فيه شذوذ ففقد اتزانه وثقته بنفسه واضطرب وشعر بالخوف من نتائج فعلته. الخجول يميل إلى التواري عن الأنظار. وكان أجدر بخليل أن يستخدم كلمة "حياء" التي تفيد الحشمة والابتعاد عن القبائح. فمن هو على حياء قريب من الإيمان. أما الخجل فيحمل في طياته مسحة من تأنيب الضمير. وبما أن خليل ضليع في اللغة نستنتج رغبة لديه في النيل من سمعة محمد (ص).

ويندد خليل بشكل مستتر بإسراف محمد (ص) وأَكْثَرَ من الاقتباسات والاستنتاجات التي يريد من خلالها إقناعنا بأن محمداً أصبح يصرف من مال خديجة "**ويبعزقه**" على هواه بعد أن كفته مؤونة العمل وتركته "**حراً لا يحمل من هموم الدنيا شيئاً لينصرف إلى أفكاره وتأملاته التي كانت تشغل الجزء الأكبر من وقته.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠٨ – ٣٠٩) ولكنه في ذات السياق يعلمنا بأن خديجة " **كانت أول من صدق به وصلى خلفه من النساء.**" فإن كان خليل قانعاً بأن خديجة كانت أول من صدق به وصلى خلفه لكان عليه الأخذ بالرأي القائل بأن من يتبع دين محمد (ص) ويصلي خلفه لا يمكن أن يكون صانعاً لمحمد (ص)!! إن إنساناً يصدق رسالة إنسان آخر يعني أنه هو التابع وليس الصانع! اللهم إلا إذا كان خليل يُلَمِّحُ إلى الوثنيين الذين كانوا يصنعون الصنم ثم يعبدونه ثم يأكلونه إن كان قد صُنِعَ من التمور.

ولكننا لا نكتفي بتفنيد رأيه بما ذكرناه في الفقرة السالفة وإنما نتابع ذلك باقتباس آخر أورده خليل عن محمد (ص):

"**لقد ذاق الحرمان وكابد المسغبة وكواه الفقر فلا يسكن روعه من هذا الجانب ويهدئ باله ويطمئن نفسه ويريح خاطره سوى أن يوضع المال جميعه بين يديه.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٠٩)

ترى هل أدرك خليل مدى الانحراف في ادعائه هذا؟ ألم يتعمد إهانة محمد (ص)؟ ما هذه الصورة التي صنعها له؟ إننا لو صرفنا النظر مؤقتاً عن الإهانات المتعددة وتمسكنا بواحدة منها فقط: "**لا يرتاح إلا إذا وُضع جميع المال بين يديه**" لاستنتجنا الحقد والتحامل والضغينة عند المؤلف. فهل لم يكتف محمد (ص) بالسيولة التي يحتاجها من مال خديجة فاستولى عليها جميعها؟ (هذا لو كان أصلاً قد استخدمها لأهدافه)

ونلمس تناقضاً في تعامل خليل مع المعلومات التي يضعها بنفسه أمامنا عندما قارن بين خديجة (ر) ومحمد (ص). فهي **سيدة قريش أو سيدة نسوان قريش ذات مكانة اجتماعية سامية وتاجرة ناجحة تملك المال الوفير**" بينما هو " **فقير مملق لا يملك شروى نقير يرعى الغنم بأجياد على قراريط.**" ولكنه " **فتى يفيض شباباً وقوة وحيوية وسيماً قسيماً بل يُعتبر مثالاً للبهاء وقد ورث ذلك من أبيه عبد الله بن عبد المطلب الذي بمحياه الطلق أحرق قلوب نسوان القبيلة: عذارى وأيامى.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٥). إذن فشباب ووسامة وبهاء محمد (ص) أثرت في قرار خديجة (ر). بل إن خليلاً يرفع من تأثير وسامة محمد (ص) على خديجة عندما أعلمنا بأنها رفضت قرشيين **من ذوي النسب والحسب والنشب (المال) لأنهم افتقروا إلى الشباب والفحالة اللذين يسبيان قلوب النسوان ويأسران عقولهن خاصة الشهلات الكهلات.** (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٦). فلو لم يفتقروا للوسامة لأمكن لخديجة (ر) التفكير في زواج أحدهم. فكيف يؤكد دور الوسامة على قرارها ثم يقول في ذات الصفحة تماماً:

"**ونحن ننبذ بصرامة ما لمح بعض كتبة السيرة المحمدية التي هي كما المسك الفائح من أن الباعث الدافع لنكاح خديجة محمداً هو شبابه الرائع وفتوته الظاهرة وقوته الواضحة فضلاً عن قسامته ووسامته وجماله وحسنه.** " (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٦)

إذن فقد كان للوسامة والقوة والشباب دور!! وما العيب في ذلك أو الحرام؟ ترى هل لاحظ خليل أن اعترافه بدور الشباب والحيوية أعاده إلى حظيرة أولئك من كتاب السيرة

الذين شجب استنتاجاتهم ونبذ آرائهم بعنف وصرامة. فهل نتج تناقضه الفاضح عن اهتزاز أصاب سلامة تفكيره أم هل أعمى الحقد بصره؟

يحاول خليل بعد ذلك إقناعنا بخلو فكر محمد (ص) من أي فكر ديني فيقول بأن محمداً (ص) كان " **يتمتع بأعلى المواهب العقلية وهو أمي. بيد أن الأهم من ذلك كله ليست لديه ثقافة دينية من أي نوع. وتراكمت الأسباب لتقنعنا بالمسبب:**

فهو قد تجرع مرارة اليتم صغيراً فطبعه بطابع الحزن ثم ذاق شظف العيش مع راعيه وكافله فاستشعر بأن الحياة ظلمته مما ضاعف أساه وانتهى به الأمر إلى إيثار العزلة والبعد عن الناس والنفور من الاختلاط بهم. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٧)

ولما شب وغادر أيام الطفولة اضطرته ظروفه المادية إلى امتهان حرفة فوق أنها لا تليق به شخصياً ولا تناسب مكانته أو رتبته مما زاد الأزمة النفسية فإنها بطبيعتها تستلزم مفارقة الناس وهي رعي الغنم. فالراعي يستلم القطيع من صاحبه ويسوقه إلى موضع يصلح للرعي... ويظل معه حتى الغروب فيعيده إلى مالكه ويتسلم منه جعالته...ثم يعود إلى... دار أبي طالب ويعطيه ما حصل عليه من أجر..وهكذا لم تتح له هذه المهنة فرصة أن يغدو خليطاً. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٧)

وبعدها عمل أجيراً تجارياً ..وحدثنا العبد "ميسرة" عن عزوفه عن الاجتماع برجال القافلة..وحتى لو فرضنا أنه...اندمج معهم ومع المشترين والبائعين فهم جميعهم بلا ريب مليطون من أي ثقافة وخاصة الدينية..." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٨)

والسبب الثالث والأخير أن الذي حاز الثقافة الدينية هم نفر من النخبة القرشية أما الآخرون وهم العامة الذين يكدون في سبيل لقمة عيش شجب (= خشن) فلا يفكرون فيها مجرد تفكير إذ هي بالنسبة إليهم ترف لا يقدرون عليه. ونحن إذا نظرنا إلى هذا الأمر نظرة عقلانية مجردة لا بد أن نتساءل: أنى لفتى صغير خرج بالكاد من مرحلة الطفولة واشتغل برعي الغنم ثم لما شب قليلاً عمل أجيراً تجارياً ببكر من الإبل..أنى له أن يحوز ثقافة دينية أو ثقافة من أي نوع؟ ونرجح أن السيدة خديجة تحققت بنفسها

فقد دأبت على استقباله غب إيابه من سوق حباشة منفرداً أو مع زميله في العمل وتقدم الأطروفة التي خبأتها له أو لهما كما أسلفنا وفي أثناء تناولها لا بد أنها تحادثت معه فعرفت خلوه من أي منزع ثقافي ديني." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٧ -٣١٨)

لا نستطيع ترك كلام خليل بدون ملاحظات تسفه استنتاجاته وتبين إما غباءها أو كونها مغرضة وحاقدة. فما علاقة تجرعه مرارة الفقر واليتم بالعزلة؟ ألا يدفعُ الفقرُ واليُتْمُ إلى اختراق العزلة بدلاً من الاستسلام لها. لقد امتاز محمد (ص) حسب اعتراف خليل بـــ:

"**طلاقة اللسان وقوة العقل وسلامة الفطرة ونفاذ البصيرة وسعة الأفق وحدة الذكاء وصلابة الشكيمة ومضاء العزيمة واستقامة الخلق وصدق القول وأداء الأمانة والوفاء بالعهد**"

فهل هذه صفات من يستسلم للعزلة ويهجر الناس وينطوي على نفسه؟ ألا يخجل خليل من الاعتراف بتوفر هذه الصفات التي تمثل جميعها تتويجاً مشرفاً للصلات الاجتماعية ولا تتأتى إلا لرجل عظيم متكلم وصاحب رأي ثم يستنتج أنها دفعت محمداً (ص) إلى "**إيثار العزلة والبعد عن الناس والنفور من الاختلاط بهم.**" إن النفور من الاختلاط بالناس ظاهرة مرضية فهل تعمد خليل إهانة محمد (ص) أم ان النقص الذي يبلغ حدَّ المرض في اجتهاداته دفعه إلى هذا الاستنتاج.

ويندد خليل بكون محمد (ص) عمل راعياً واستنتج من ظاهرة عزلة الراعي في البراري والصحاري عدم إمكان اكتساب أية ثقافة. ونحن نقر بالعزلة التي ترتبط بمهنة الراعي. ولكنها عندما تكون في رحاب الطبيعة الرائعة لا تدعو الراعي إلى الانعزال المطلق وإنما إلى عزلةٍ تشبه الخلوة في غار حراء. إنها عزلة التأمل والتفكير بالكون وبالخالق وبالناس وبقريش بأفخاذها وبالحاكم وبالأوثان والأديان. إنها عزلة من شهد فساداً في المجتمع واستاء منه وشرع بفكره الخلاق في البحث عن الحلول المؤدية إلى رفع الظلم عن أولئك الذين يعيشون في الجوانب المظلمة من المجتمع. إن هذه العزلة

تجعل من يعيشها مندفعاً إلى البحث والتنقيب متوثباً نحو المزيد من الاستفسار والاطلاع حتى يصل إلى مرحلة الاستنتاج. إن تلك السنوات التي سبقت عمل محمد (ص) عند خديجة (ر) لعبت دوراً في تحوله إلى شعلة من الثورة على الوثنية والفساد تنتظر الإشارة المناسبة للانطلاق في طريق الحق. إنها عزلة بناءة لشخصيةٍ تتهيأ لتتبوأ أعظم مكانة لإنسان فرد على مدى التاريخ.

أما أن تكون الثقافة الدينية ترفاً يحتكره الأثرياء ممن يستطيعون البذل بسخاء على الغذاء والكساء ويتعالون على باقي شرائح المجتمع فلا يعدو كونه تفكيراً طبقياً أكل الدهر عليه وشرب. ولا ننطلق بمقولتنا هذه من إنكارٍ لظاهرةِ الطبقات وإنما من تجربتنا مع النظم الطبقية التي انهارت قبل عقد من الزمان. إنها انهارت لأنها زرعت الكراهية بين الطبقات بدلاً من التوفيق بينها. إنها غذَّت الكراهية واعتمدت على دعم الطبقة الفقيرة العاملة فميَّزتها وجعلتها منتفعة وظنت أن الاعتماد عليها سيحمي القيادات. فإذا بالعكس التام يحصل وإذا بقادة الطبقة الكادحة التي باسمها ظهر النظام الاشتراكي تسحق النظام.

ولذلك فإن سؤال خليل:

"**أنى لفتى صغير خرج بالكاد من مرحلة الطفولة واشتغل برعي الغنم ثم لما شب قليلاً عمل أجيراً تجارياً ببكر من الإبل..أنى له أن يحوز ثقافة دينية أو ثقافة من أي نوع؟**" يصبح عليه وليس معه.

هذا ولا يفوتنا الانتباه إلى الفكرة التالية:

لو قبلنا بأسباب خليل الثلاثة التي جعلت محمداً (ص) بدون "**ثقافة دينية أو ثقافة من أي نوع؟**" وأن انتقاله من الجهل إلى العلم بدأ منذ تشغيلها له لأوقعنا خليلاً في أكثر من مأزق! فلقد أعلمنا في النص أعلاه بأن بدء العلاقة بين خديجة (ر) ومحمد (ص) كان وهو في حوالي الثامنة عشرة من عمره. ولكنه أكد لنا في أكثر من موضع في مختلف أجزاء الكتاب بأن خديجة كانت تعلم بأمر محمد (ص) منذ حملت أمه به وعلمت بأنه "المنتظر" وتابعت أخباره منذ ذلك الوقت. لقد كتب خليل في هذا الصدد كلاماً ذي دلالة:

"وتفككت عرى التقاليد القبلية..ونتيجة لذلك لم يجد محمد ما يتعيش به سوى رعي الغنم مع أنه من بطن أو فخذٍ ...يُعدُّ من القمم العوالي.وعملُ محمدٍ في رعي الأغنام قطع نياط قلوب الكثيرين ومنهم أم هند (خديجة) فضربوا كفاً بكف وتساءلوا متعجبين أو تعجبوا متسائلين كيف يحدث هذا؟ كيف يحترف سليل هاشم وحفيد عبد المطلب سيد قريش منذ أعوام قلائل هذه المهنة التي هي وقف على العبدان واللصقاء والزعانف الذين يشكلون قاع المجتمع والطبقة ذات السفولة والغور." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٦)

لذا نتساءل: ألم تدفعها غيرتها عليه ورغبتها فيه والهدف البعيد من الزواج منه إلى تحسين أوضاعه المعيشية بدلاً من مشاهدة معاناته التي حدثنا عنها خليل؟ فإن كانت علمت بأوضاعه واستنكفت عن مدِّ يد العون فهذا لا يزكي موقفها تجاه "زوجها المرصود النبي المنتظر"

أما إن كانت لا تعلم فهذا يدل على أن استنتاج خليل بأن خديجة (ر) كانت على معرفة تامة بولادة "المنتظر" مجرد خيال لا أصل له. وإن كانت الثقافة حكراً على من يستطيع دفع الثمن فهل كَثُرَ على خديجة (ر) أن تستثمر بعض ثروتها في شخص زوجها المقبل النبي المنتظر؟

ونحن نؤكد هنا ثانية وثالثة أننا عندما نبدو وكأننا نتعرض لخديجة في أجوبتنا لا نقصد تلك الزوجة الرائعة التي ارتسمت صورتها في عقولنا منذ الطفولة وإنما نجيب خليلاً الذي حشر هذه الإنسانة الكريمة في زاوية حالكة من خيالِ قصصٍ تاريخيٍ وفي أدوار هي منها براء.

ونستطرد الآن قليلاً لنعلق بإيجاز على موضوع تَوَلُّد النقمةِ عند محمد نتيجة للفساد المنتشر في مجتمع مكة الذي كان بعضُهُ يجورُ على أكثريَّتِهِ. من هنا تولدت النقمة عند

محمد (ص) وتشكلت بذرة الثورة في وجدان محمد (ص).(صفحة ٢٨٢) ونحن نؤاخذ خليلاً على رأيه في أن شعوراً بالنقمة تولد لدى محمدٍ (ص)! فالنقمة تؤدي بمن تملكت به إلى الحقد والميل للتشفي أكثر من التوجه نحو الدعوة إلى الإصلاح. ولذلك فإن انغراس بذرة الثورة في وجدان محمد وكونه أدى إلى دين الإسلام السمح ينفي كون النقمة كانت الدافع. ولو تذكر خليل نفسه ما كتبه في كتابه "**قريش...**" عن معاملة محمد (ص) السمحة لأبي سفيان ولصناديد قريش وعامتهم يوم فتح مكة لعضَّ على أصابعه قبل أن تخطَّ يده كلاماً يتهم محمداً بالنقمة.

مقابلة بين خديجة (ر) ومحمد (ص)

يصر خليل على المقارنة بين محمد (ص) وخديجة (ر) و يعدد فوارق عديدة تباعد بين الاثنين وتحاول النيل من محمد (ص) تحت ستار من كلام غير مقنع كما سنرى. فهو يكتب:

"وهي ذات تجارب عميقة وخبرات مكينة.

وهي دروب حاذقة مرنت على شتى الوجوه من العديد من الأمور: فهي صاحبة تجارة وسيعة وهو أجير. ولا يقارنُ ذو لب بين خبرة رب العمل والأجير.

وهي تزوجت مرتين أنجبت فيهما أولاداً وبنات وهو لم يدخل دنيا.[٤٥]

وهي تجيد القراءة والكتاب [هل قصد:الكتابة؟] **وقد طرحنا البراهين على ذلك وهو أمي لم يمسك قلماً ولا ورقة ولم يطالع صحيفة.**

وهي ذات ثقافة دينية متميزة في حين لم يُعرف عنه ذلك.

وهي من فرع (= بني أسد) مرق منه نفر ممن قرأوا الكتب وتبحروا في العلم في حين لم يعهد في بني هاشم من ذلك شيء.

وأحاطت بسيدة نسون قريش حلقة من أهل الكتاب تقابلهم وتناقشهم وتدارسهم وتباحثهم وهو آثر العزلة وأحب الانطواء ورغب في الابتعاد لأن ظروف نشأته قست عليه وحرمته وظلمته. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٩)

---

[٤٥] - عند كلمة دنيا وضع رقم حاشية وظننا كالعادة أنه سيوثق كلامه ولكننا وجدنا أنه فسر كلمة "دنيا" بأن كتب: "**تعبير شعبي مصري معناه أنه فتى بكر لم يتزوج ولا نرى بأساً من استعارته.**"

من المؤسف أن كل هذه الفوارق التي تحدث عنها إما غير صحيحة أو إنها ليس لها ذلك الوزن الذي يريد إقناعنا بأثره. وقوله: "**وهي تجيد القراءة والكتاب وقد طرحنا البراهين على ذلك** " قول ليس فيه من الحقيقة شيء لأنه اعتمد على قرائن هزيلة لا يرقى أفضل ما فيها إلى مستوى البرهان (خليل، صفحة ١٢٣ – ١٢٥) وقد فندناها نقطة فنقطة في القسم الأول من هذا الكتاب في (الصفحات ٣٢ وما بعدها). لا شك بأن خديجة (ر) أصبحت ذات خبرة نتيجة لزواجها مرتين من رجلين يحمل كل منهما مزاجاً يختلف عن الآخر وطبائع متباينة. ولكن ذلك لا يُحسب بالضرورة في صالحها. أفلا يمكن أن تكون تأثرت سلباً من هاتين الزيجتين وخاصة أن الزوج الثاني خرج من لدنها وهاجر إلى الحبشة ولم يعد إليها على الإطلاق؟ ألم تتأثر نفسيتها بعد وفاة زوجها الأول وذهاب الثاني دون أن يعود إليها؟

وكونها حملت وولدت العديد من الأولاد من زوجين مختلفين لا يشير فقط إلى أن لها تجارب مع تربية الأولاد وإنما يدل أيضاً على أن أعصابها كانت تتوتر وتتآكل من أعمال التربية إلا إذا تركت شأن تربية الأولاد للجواري والخدم. وكونها أماً لكثير من الأولاد يدفعنا للتساؤل عن الوقت الذي يتبقى لديها لممارسة مجالسة الرجال ومحادثتهم ومسامرتهم، ومتى كانت تتفرغ فـ"**تجالس الرجال مع عفة بالغة وطهارة كاملة وتحادثهم وتسامرهم وتسمع منهم وهو** [محمد (ص)] **خجول كالعذراء المخدرة وهي ذات حاشية وسيعة من الصواحب والصديقات اللواتي يحضرن مجلسها ويتجاذبن معها أطراف الحكي وينقلن إليها أخبار قرية القداسة** ...إلخ مما كتبه خليل لنا. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٩ – ٢٩٠)

ورغم تلك المشاغل وجدت خديجة (ر) الوقت الكافي الذي جعلها لصيقةً بمحمد (ص) تعلمه وتدربه وتقرأ عليه الأسفار المترجمة خلال الليالي الطوال التي تستمر حتى الفجر وتملي عليه كيف عليه أن يتصرف لينجح في مهنة النبوة التي كرست نفسها "لتطبيقها" عليه. ترى كيف مارست جميع هذه النشاطات البيتية والتربوية والزوجية والتجارية وقابلت كل هؤلاء المشاركين في الندوات والحوارات رجالاً ونساءً ثم وجدت

الوقت الكافي لقلب محمدٍ (ص) من رجل خجول كالعذراء المخدرة، حسب تعبير خليل، إلى نبيّ؟ ألم تفكر بضرورة تعليمه القراءة والكتابة لينطلق بدافع ذاتي ليتقن ما كانت تريده أن يتعلم؟ هل لم تجد يا ترى الفرصة لتعليمه الكتابة والقراءة على حساب كمٍ قليل من مجالسة الرجال مع العفة البالغة والطهارة الكاملة؟ ترى لماذا حرص خليل على وصفه بالعذراء؟ هل تعمد قرن شخصيته بالمرأة وجعل من خديجة (ر) الرجل؟

إننا نكرر تأكيدنا على أننا عندما طرحنا وما زلنا نطرح مثل هذه التساؤلات التي تبدو وكأنها تنتقد خديجة (ر) لا نقصد سوى إبراز الخلل الفكري الذي غاص فيه خليل فسيطر على استنتاجاته. وها نحن نستمر في كشفه عندما يدعي بأن خديجة (ر) "**أنتجت معجزة وهي معجزة بكل المقاييس.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٩١)

فهل يتفق لسيدة لها تلك الانهماكات أن تصنع معجزة ؟ أليس الأقرب للعقل أنها تزوجت من صاحب معجزة فذهلت أمام طباعه وقدراته فآمنت به ؟

وكون خديجة (ر) صاحبة تجارة وسيعة بينما محمد "أجير يعمل عندها" لا يزكيها ولا يعتبر إثباتاً على أنها مارست العمل التجاري بنفسها تماماً كما لا يثبت أنها متعلمة. لقد كلفت محمداً (ص) كما كلفت آخرين قبله بممارسة العمل التجاري لحسابها. وهذا لا يجعلها تاجرة ولا متفوقة عليه. فهو الذي "**سحر بكلامه وعذوبة حديثه ميسرة وسائر من في القافلة وسائر من تعامل معهم من المشترين والبائعين وغيرهم بجمال منطقه وحسن كلامه ...**" هو الذي ساوم وباع واشترى وأخذ قرار البيع أو الشراء، وهو الذي أمسك بزمام قافلة لخديجة فيها مئات من الإبل!! والعمل التجاري يحتاج بالذات إلى هذا النوع من المقدرة على الأخذ والرد والإقناع. فهذا المدير التجاري هو صاحب المكانة والخبرة وليس صاحب رأس المال. ولا يفوتنا أن صاحب رأس المال الميسور ليس بالضرورة هو التاجر الناجح خاصة عندما نعرف أن ثراء خديجة (ر) ورثته إرثاً ولم تُراكمه بعملها الشخصي. وها هو خليل يرجح ذات الرأي عندما يكتب: "**ثروة خديجة من مخزوم – ونكاح أم هند للمخزومي نرجح أنه أحد أسباب ثرائها العريض.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١٠)

وكونها ذات ثقافة دينية متميزة لا يجعلها متفوقة على شخصية محمد (ص) لأن ما كانت ربما تؤمن به ليس ما دعا هو إليه. وأخيراً وليس آخراً نرى أن خليل عبد الكريم قد تجاوز الحدود عندما نوه بحياء تنويهاً غريباً بأن فرع بني أسد أرفع مكانة من بني هاشم. فما أنجزه الهاشميون بدءاً من هاشم الثريد الذي حدثنا خليل بنفسه في كتابه "قريش" عن علاقاته الدولية وكيف كان يدخل على قيصر بيزنطة بلا حرج، ثم انتقاله إلى عبد المطلب الذي أنجز إنجازات مصيرية بالنسبة للحجاز وانتهاءً بمحمد (ص) هو الأمر الراسخ في واقع البشرية وفي ضمير التاريخ.[٤٦] ومحاولة نوفل، والد ورقة من فرع بني أسد، الاستيلاء على حقوق ابن أخيه عبد المطلب معروفة وموثقة.[٤٧] وقد كتب عنها خليل عبد الكريم:

"**وعندما ثار نزاع بين عبد المطلب وعمه نوفل بشأن أملاك اغتصبها الأخير منه، استعان بأخواله من بني النجار فأعانوه بـــ (ثمانين محارباً يثربياً يحملون السيوف إلى مكة) مما دفع نوفلاً إلى التراجع على الفور.**" (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٨٢)

ولا يفوتنا أيضاً أن نعرج على وصف خليل لمحمد (ص) بالأجير. إن استخدامه لتعبير "أجير" فيه قلة أدب ويدل على رغبته بالتشفي من محمد (ص). وهذا يذكرنا بحقد "أبي موسى الحريري = الأب جوزيف قزي" عندما كتب في كتابه قس ونبي: "**مهما كان جريئاً، لا يخطر بباله، وهو الخادم، أن يتزوج من سيدته التي شفقت عليه واستخدمته في تجارتها.**"[٤٨] ولقد أجبنا عليه بفقرة نستعيرها هنا أيضاً من كتابنا "**القرآن ليس دعوة نصرانية**" لأنها تنسحب تماماً على خليل أيضاً:

إن استخدامه للكلمات: "**خادم**" "**سيدته**" "**شفقت عليه**" "**استخدمته**" ينضح بالكراهية التي يكنّها الحريري لمحمد (ص) وللإسلام. لا شك في أننا نتوقع أن يجيبنا الحريري على

---

[٤٦] – انظر خليل عبد الكريم: "**قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية**" (صفحة ٥٣ – ٨٣)

[٤٧] – عن هذه الواقعة نجد تفاصيل في الكامل من التاريخ لابن الأثير صفحة ١١. انظر أيضاً سيد محمود القمني، الحزب الهاشمي، صفحة ٤٤)

[٤٨] – "قس ونبي" صفحة ٤١ طبعة عام ١٩٨٥

نقدنا له متملصاً بأن "السيد" و"الخادم" بالعربية تعني "سيد القوم". ولكن السياق العام لكلام الحريري يثبت سوء النية لديه. ولو كان على حق في استنتاجاته لتحملنا تحامله الذي أكل عليه كبده. ولكنه على ضلال. فمحمد (ص) لم يكن خادما ولم تستخدمه خديجة (ر) وإنما كان وكيلاً مفوضاً مسؤولاً عن كامل تجارتها الدولية. ونجاحه في إدارة الأعمال كان منقطع النظير. ولأمانته كافأته بأكثر مما كان مألوفاً آنذاك. أما أنه لم يخطر على بال محمد (ص) أن يتزوج من خديجة (ر) فهذا صحيح ولكن ليس من منطلق عقدة نقص وإنما عكس ذلك بالضبط. فقد كان محمد (ص) بكل المقاييس الاجتماعية والقبلية والخلقية أكثر شموخاً من خديجة (ر). "أما الثروة فلم تكن هي المقياس في أي عهد من العهود إلا لدى المعقّدين ومحدثي النعمة والغارقين في المال والثروة التي نهى عنهما عيسى (ع.س.). هذا مع العلم بأن ثروتها لم تكن نتيجة نشاطها وإنما ورثتها عن زوجها الأول وراكمتها بفضل أمانة محمد (ص) ورجاحة فكره عند أخذه للقرار." [٤٩]

---

٨ – من كتابنا "القرآن ليس دعوة نصرانية" صفحة ٧٤ و ٧٧

ورقة بن نوفل

"هو القس ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، زوجة النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فيكون قصي الجد الثالث لورقة وخديجة، والجد الرابع لمحمد.." (حريري، صفحة ١٣)

ولد ورقة في العام ٥٠٨ ميلادية وتوفي في عام ٦١١ أي أنه عاش مائة وثلاث سنوات. ويوجد من يقول أنه عاش مائة وأربع سنوات.

آ - وثنيته وتقلبه في الأديان

حول ديانته تعلمنا السيرة الحلبية بأنه ".. **كان على دين موسى وصار إلى دين عيسى أي كان يهودياً ثم صار نصرانياً.**" (السيرة الحلبية ج ١ صفحة ٣٨٨) أي إنه تقلب بين ثلاثة أديان ثم طرأ عليه تطور رابع: فإما "صَنَعَ" الإسلام و محمداً (ص) (على "مذهب" الحريري والحداد!!) أو علَّمَ خديجة (ر) لتتولى بنفسها تعليم محمدٍ من خلال التجربة الكبرى على مذهب الشيخ (!) خليل عبد الكريم. وكلا الاحتمالين باطل!

لم تعلمنا أية سيرة بأنه مارس أي عمل. حتى الكتاب المسيحيين الذين جعلوه النبي الحقيقي كتبوا بأنه لم يُعْرَفْ له مهنة. فقد كتب أبو موسى الحريري: "**تذكر بمهمة القس ورقة التي عُرف بها ولم يُعرف بغيرها، وهي، كما جاء على لسان المحدثين وفي صحيح مسلم وصحيح البخاري وأغاني أبي الفرج الإصفهاني، وابن كثير، وغيرهم...أن القس ورقة كان ينقل الإنجيل العبراني إلى العربية.**" (حريري، صفحة ٧١)

ويعلمنا خليل بأن ورقة كان تاجراً استفاد من خبرة خديجة التاجرة الناجحة واعتمد **"في معيشته على تشغيل ما لديه من مال في التجارة ومن المؤكد أنه استفاد من خبرة خديجة التاجرة الناجحة في هذا الشأن ونحن نقول به لأن المصادر التي بين أيدينا لم تطلعنا على مهنة له يمتهنها أو يبين لنا مورد دخله ومما تكسب أو تعيش."** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٤٤)

كيف استفاد هو منها في حقل التجارة إن كان قد بلغ أربعين عاماً من العمر قبل أن تولد خديجة (ر)؟ لو كان منهمكاً في تشغيل ماله لما كان لديه متسع من الوقت للتبحر في الديانة اليهودية ثم النصرانية ثم لترجمة الإنجيل والتوراة بله تكريس نفسه للنشاطات الضخمة اللازمة لتلقين النبوة لخديجة أولاً ولمحمد (ص) من بعد.

يقول لنا خليل كلاماً نكرره هنا يشير إلى أن ورقة عرف حدَّه فوقف عنده:

"إن هناك من توسم في نفسه أن يغدو هو القادم المنتظر مثل امية بن أبي الصلت والقس ورقة وأن الأخير عندما تيقن أنه لا يصلح لافتقاره إلى الصفات الجوهرية اللازمة اقتنع بحسن اختيار الطاهرة وساهم معها في التجربة الفذة وهي صناعة القادم المبارك...." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩٣)

إن الكلام شديد الوضوح! فما يفتقر إليه ورقة هو: "**صفات جوهرية لازمة**. ونحن نستنتج أن من تنقصه صفات جوهرية لا يمكن أن يكون على مستوى رفيع يمكنه من المشاركة في صنع الأنبياء وخاصة أنه نفسه قضى ستين عاماً غارقاً في الوثنية يعبد الأصنام.

من الأمور التي تستحق البحث هو أن ورقة كاد أن يتزوج خديجة. فقد كتبت المراجع في مواضع كثيرة، باعتراف خليل، أنه "**قد تقدم لخطبتها بيد أنه لم يتوفق له ذلك.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١٨)

وفي موضع آخر نقرأ:

"أوشك ورقة أن يتزوج ابنة عمه الطاهرة ولكن لم يوفق لأسباب لم تفصح عنها كتب السيرة."...

ونجد أيضاً:

"عندما بلغت خديجة سن الزواج ذكرت لابن عمها ورقة فلم يقدر على زواجها.؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٦٩)

غريب أن يفشل ذلك الزواج! فكل علمه وتقواه وأستاذيته مضافاً إليها قدرته على التنبؤ وفوق كل ذلك ذكاء خديجة ونظرتها البعيدة وعلمها مضافاً إلى علمه بأن القادم الجديد المنتظر سيكون هدفهما المشترك لم يجعله ينجح بالزواج منها. فما هو السبب؟ من رفض من؟ ولماذا فضلت هي أو فَضَّلَ وليُّ أمرها أن تتزوج من رجل آخر وهي في الثالثة عشرة من العمر؟ إن خليلاً يمر على تلك الواقعة مرور الكرام تماماً كما مرَّ على وثنية ورقة لفترة بلغت ستين عاماً دونما تعليق بينما كان أحرى به أن يتحرى خلفية الواقعتين.

لقد قرأنا في أمهات الكتب وأعلمنا خليل مجدداً بأن ورقة بن نوفل هو الذي أعلم أخته بالنبي المنتظر فحاولت مضاجعة عبد الله بن عبد المطلب، والد محمد (ص) ليحل فيها نور النبي. أما خديجة فسمعت بمحمد (ص) منذ حملت آمنة به. فورقة عرف بأمر النبي المقبل قبل أخته فأعلمها به. وخديجة (ر) عرفت بمحمد (ص) منذ حمل آمنة به فأخذت تنتظر ولادته لتنفذ مخططاتها عليه. ونُذَكِّرُ ببعضٍ من جهودها من اقتباس سابق مفاده: **"فالطاهرة من دونهم لم تنتظر القادم الجديد فحسب بل فلت مجتمع مكة وخاصة شبابه ودققت النظر في قوادمه وخوافيه وحدقت في حناياه ولم تتعجل أو تتسرع وصبرت سنوات طويلة قاربت الربع قرن حتى اهتدت إليه."** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١١)

وفي موقع آخر وصف لنا خليل خديجة بأنها تفوقت "**على الثلاثة الآخرين** [ورقة وعثمان بن الحويرث وقتيلة أخت ورقة] **وبزتهم لأنها امتازت عليهم بخصال وملكات نفسية افتقروا إليها يأتي في مقدمتها استشراف المستقبل والفراسة التي لا تخيب**

وموهبة الإلهام الصادق وغريزة اختيار المجلى (السابق والفائز) [المقصود محمد، ص] والرهان عليه. (خليل، فترة التكوين، صفحة ٥٤)

لذلك نتساءل: هل من مرجع يتيم يؤيد هذه الادعاءات التي تفتقر إلى أي سند ؟ إن كان الأمر كذلك فلماذا لم تكتشف خديجة أمر محمد (ص) قبل ورقة وقبل قتيلة؟ لقد كان عمر عبد الله، والد محمد (ص) أكثر تناسباً مع عمر خديجة التي زاد عمرها عن عمر آمنة بعام واحد فقط. فلماذا لم تسخر جهودها العظيمة للزواج من والد محمد (ص) فيصبح ابنها النبي المنتظر وتصبح عملية تدريبه (وصنفرته وقلوظته) أكثر منطقاً وأضمن نجاحاً وأقل إحراجاً تجاه من يدعي بأنها كانت تحنو عليه وتعامله كأمه الرؤوم وتنجب منه أولاد وبنات كثيرين؟

ب – تعاضده مع خديجة على تهيئة محمد (ص)

استند كتاب خليل أصلاً إلى أن دور خديجة (ر) في "تصنيع النبي" كان الأساس الرئيسي وأعلمنا بأنها هي التي تولت تطبيق التجربة على محمد (ص) وصنعت منه ما صار إليه. ولكننا لاحظنا أن خليلاً اعتدل في رأيه وانسلّ شيئاً فشيئاً ليمرِّرَ الفكرة التي تمنح ورقة دوراً أكبر. وبلغ به الأمر أن جعله فوق خديجة بالرغم من ادعائه بأن خديجة (ر) تفوقت على الثلاثة الآخرين.

نختار من كتابه حول هذه النقطة عدة اقتباسات ونأتي بالتعليق عليها:

" **ونظراً لتلك الصلة الوثقى** [بين ورقة وخديجة] **فقد كان على إحاطة تامة بأدوار الترقي والصعود من درجة إلى درجة ولا بأس من تقديم النصيحة وطرح المشورة وإعطاء الرأي السديد ونفح الفكرة الحكيمة. إذن كان هو على علم دقيق بمجريات التجربة وتفصيلات مسيرتها ودقائق خطواتها – إنما الذي كان يعيبه أنه كان عجولاً يتسرع قطف الثمرة قبل نضجها بل قبل بدوها بعكس الطاهرة فقد كانت متأنية رفيقة**

صبورة..." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٤) [٥٠] إذن فهو العجول! ورغم عجلته لم تظهر الدعوة إلا بعد بلوغه سن مائة عام. فمتى كان من المتوقع للدعوة أن تظهر لو لم يكن عجولاً؟

خديجة وورقة "**هما اللذان يتوليان وخاصة خديجة ملازمته وإعداده وحفزه ودفعه وتشويفه وتشويقه كيما يتشكل إلى (المنتظر)**." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٥٤)

"**انعقدت جلسات مذاكرة ومدارسة ومحاورة بينها وبين اليعسوب ثم انضم إليهما (أحمد) بعد المباعلة وفي ليالي مكة الطويلة استمرت هذه الجلسات حتى ينفجر نور الصباح فهي جزء عضوي في الإعداد والتأهيل والتهيئة**." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٤٤)

"**أما بالمساء وفي ليل مكة الطويل شتاءً فمع الطاهرة بمفردهما أحياناً وبحضور القس أحيانا أخرى تتم في تلك القعدات مذاكرة الإصحاحات التي نقلها ورقة ... إما بتلقيها منه مباشرة ثم إدارة الحوار بشأنها وإما بتلقيها من الأم الرؤوم والزوجة الحنون...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢١)

ولا يكتمل عجبنا من كلام خليل هذا إلا بعد أن نأتي باستشهاد آخر جاء فيه أن خديجة (ر) " **خاضت وقعة عنيفة لتغدو بعلاً لـ (المصلح) لتتولى به ومعه عملية الصقل والتدريب والتشذيب والصنفرة**." (خليل، فترة التكوين، صفحة ٧٢)

لنا على ذلك أكثر من احتجاج! أولها ثانوي في طبيعته ولكنه حساس في أثره إذ إن استخدام كلمة "صنفرة " لا يليق عندما يمس الحديث شخصية محمد (ص) حتى ولو كان استخدام الكلمة مجازياً. وثانيها ذو مغزى! فلماذا أشار إلى انها غدت بعلاً لمحمد (ص)؟

---

٥٠ – وبمناسبة هذا الاستنتاج نذكر بما قلناه عن توفر قناعة معاكسة تماماً لدى عبد الكريم عندما تبنى وجهة طه حسين إذ كتب: "**ولقد أحسن العميد** [طه حسين] **وأجاد في تصوير موقف اليعسوب** [ورقة بن نوفل] **من أمر الزواج**، زواج (**المتضرع في الدعاء**) **من الطاهرة. فهو نصحها بالتلطف في تدبير أمرها**." (عبد الكريم، فترة التكوين، صفحة ٧٨)

فلفظة "بعل" تعني الرب في الحضارات القديمة، وهو رب الأمطار.[51] وهو ذكر، ولا يوجد موقع واحد يتحدث عن أن المرأة "بعل" للرجل. ومن الاستخدامات الشاذة غير المؤدبة للفظة بعل أو بعلة قول خليل: "**هذا هو التعليل السليم والسديد لعزوفه عن نكاح بعلة أخرى**". فكيف يصف المرأة بالبعلة وكيف خرَّجَ هذا الاشتقاق السفيه؟ (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣١٤) أما الاحتجاج الثالث فيتعلق بالسؤال التالي الذي جعلنا منه عنواناً:

ج – لماذا لم يتحد ورقة مع ابنة عمه؟

نبدأ الإجابة باقتباس آخر من خليل حيث يقول:

" **ونجزم أنه لا توجد كلمات أخرى أقوى وأصرح من هذه الكلمات تحدد موقع ورقة كأستاذ ويعسوب وموجه للطاهرة وهي تتولى إنجاز التجربة الكبرى التي أظهرت القادم المنتظر بصورة مدهشة.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٢)

إنه لأمر عجيب: ورقة أستاذ وموجه ويعسوب وعالم متبحر، واتصفت خديجة بصفات دفعت خليلاً لجعلها ذات الوزن الأكبر في عملية "تصنيع" النبي. كلاهما عبقري قدير بينما محمد (ص) لين العريكة ينصاع لما يقال له إلخ...فلماذا اتفقا على الاختفاء وراء شخصية "طرية" دون أن يتنطعا بنفسيهما للبروز بما لديهما من كنوزٍ أمام الملأ؟ لماذا أضاعا ربع قرن من تاريخ البشرية "الضالة" دون أن يجاهر أي منهما بالإصلاح الديني الذي نادى به محمد (ص) فيما بعد؟ لماذا لم يَلْقَ أي منهما عداء قريش وسواد القبائل العربية طوال ربع قرنٍ إن كانا أصحاب دين ناقد يعترض على الممارسات الضالة والوثنية بشكل خاص؟ ألم يتعايشا مع عبادة الأصنام؟ ألم يمشيا "الحيط الحيط" في ظل الوثنية التي غرقت فيها قريش حتى الآذان، كما أعلمنا خليل؟

– يقال:" تين بعل" و "زراعة بعل" بمعنى أنها تعتمد على الأمطار لا تحتاج إلى سقاية لأن الرب "بعل" يتولى سقايتها.[51]

وثمة اقتباسات أخرى وردت لدى خليل تدعم تساؤلنا عن الأسباب التي منعت حشد قوتيهما معاً لإنجاح التجربة:

- " **وللقس ورقة شعر كثير حملته إلينا دواوين سيرة (الهادي) التي هي أجمل من رائحة الألوة مع الكافور والزعفران وقد أورد ابن إسحق في سيرته قصيدتين .... تكلم فيهما بوضوح عن صلته الوثيقة بسيدة قريش وكيف أنها ما انفكت توافيه بقدر ملحوظ من الموالاة بمواقف (الذي سيفه على عاتقه** [محمد (ص)]) **وما يمر به من مقامات وتستفسر منه عن تأويلها الأمر الذي لا يدع مجالاً لذرة من شك أنهما تعاضدا على إنجاز التجربة التي موضوعها (النجيد / النجيب).**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٨٢)

- "**أما في التجربة فهو قد أعان وساعد أم هند بالإضافة إلى التوجيه والإرشاد والأستاذية.** (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٨٩)

- "**تلك التجربة المدهشة التي قادتها وخاضتها الطاهرة بتمكن واقتدار يعزان على المثيل والتي ظاهرها فيها القس ورقة بأستاذية ومهارة فائقتين، تدفعنا ...**"

لو كانت خديجة الصانعة لما لجأت إلى ورقة وهو على حافة قبره لتستشيره فيما حصل لمحمد في غار حراء.

- "**في ليالي مكة الطويلة وخاصة في الشتاء والربيع تشمر أم هند عن ساعديها وتجلس إلى ابنها وزوجها (الأمين) تقرأ له على مهل وتطالع له بتؤدة صفحات من تلك الأبعاض والإصحاحات وتشرحها له بقدر ما تتسع ثقافتها الدينية التي حصلتها من المنبع والروافد"....."وإذا أشكل عليها أمر ... أو أعجزتها مسألة هرعت إلى اليعسوب ورقة تستوضحه ليفسر لها ما أبهم...هو الذي ينهض بعبء الشروح والتفسيرات والتأويلات إلخ. أي تتسع حلقة المذاكرة بانتقال خديجة و (أحمد) إلى بحر العلوم وكهف المعرفة...**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٣٢٨)

لننتبه إلى وصف خليل لورقة بـــ " **بحر العلوم وكهف المعرفة**" ثم نسأل: لقد قضى ورقة ستين عاماً من عمره في الوثنية. وشرع بعدها في رحلة البحث عن دين ابراهيم.

لقد قضى طفولته وشبابه وكهولته وطرق باب الشيخوخة وهو على الوثنية. أفلم يكتشف بأفقه الرحب وفكره النير انحراف الوثنية قبل دخوله نطاق الشيخوخة بالرغم من هذا الكم العظيم من الصفات الطيبة؟

- "**أما ورقة بن نوفل أو القس فلم يكن دوره جانبياً كما قد يتبادر إلى الذهن، صحيح أن ابنة عمه قد استعملته كأحد العوامل الفاعلة في تحقيق الهدف الذي تغيته بيد أن ذلك لا يعني أنه كان ألعوبة في يدها....ولكنه على نقيض سيدة قريش كان متسرعاً عجولاً وكثيراً ما كان يصرح: متى يا خديجة؟ لقد طال صبري.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٢)

وبعد صفحتين كتب خليل متذمراً من تسرع ورقة الذي كان يستعجل الأمور. ولكن كيف ذلك إن كان قد رافق محمداً ٤٤ عاماً كما أعلمنا الحريري والحداد دون أن يحثه أو يدفعه لإعلان الدعوة؟ لو كان متسرعاً وفي عجلة من أمره لما انتظر حتى حافة قبره وهو في عامه المائة قبل أن تظهر الدعوة؟

ونختتم مجموعة الاقتباسات بكلمات استخدمها خليل دليلاً على وجود "**اتفاق بين التلميذة النجيبة والأستاذ القدير.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٣٧)

وهكذا انقلبت خديجة (ر) من سيدة خاضت التجربة المدهشة إلى مجرد تلميذة بينما انقلب ورقة إلى أستاذ. فإن كان الأمر كذلك فما هو الداعي لتعقيد الأمور بأن يعطيها ورقة ساعات خصوصية لتهضمها ثم لتلقنها خلال ساعات خصوصية أخرى لتلميذها محمد (ص)؟ أين الضرورة لذلك إن كانت الليالي تجمعهما معاً كما أعلمنا خليل؟ إن كانت مواهب ورقة التعليمية أقل من أن يتمكن من تمرير العلم إلى محمد (ص) فلا بد أنه لم يتمكن من تمرير هذا العلم إلى خديجة (ر). وإن كان علم خديجة متواضعاً "على قد المقام" فكيف خاضت التجربة الكبرى؟

وملاحظة أخيرة حول هذه النقطة: بكشفه "الخجول" عن أن خديجة (ر) كانت أقل علماً ومقدرة من ورقة عاد خليل إلى حظيرة الأب جوزيف قزي (**قس ونبي**) ويوسف

درّة الحداد **(القرآن دعوة نصرانية)** اللذين تجشما جهوداً كبيرة لاثبات "نبوة" ورقة بن نوفل ففشلا فشلاً ذريعاً كما أثبتنا في كتابنا: "**القرآن ليس دعوة نصرانية**" الذي كشف أسلوبيهما معاً.

إن أسفنا لبالغ حقاً أن نحمل خديجة البريئة هذا العبء من النقاش المتعب الذي حشرها فيه الشيخ خليل عبد الكريم.

نقاط من الضعف والتناقض والتحامل عند خليل

لو شئنا الحقيقة لوجدنا أن كتاب خليل من أوله إلى آخره عبارة عن آراء متناقضة يخرج قارئها في نهاية الأمر بنتائج تعاكس ما ذهب إليه خليل.

إنه يتحدث عن ظواهر " **تقطع بفساد مجتمع مكة وضرورة إصلاحه**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٨٢) فكيف يستقيم التفكير بفسادها إن كانت مركزاً تموج فيه اليهودية والنصرانية والصابئة والبوذية وجميعها ديانات تدعو إلى الخير؟ إن انتشار جميع هذه الأديان، حسب ادعاء خليل، كان قميناً بأن تسود روح الحوار بين تلك الجماعات التي تؤمن بدين. فهل انتشرت هذه الأديان بالاسم دون أن يلتزم بها معتنقوها؟ أليس الأسلم والأصدق والذي يفسرُ الأحداثَ وجودُ غليانٍ في مكة سببه الظلم الاجتماعي والانتشار الكاسح للوثنية وعبادة الأصنام ؟

وينقلنا ذلك إلى اختلاط الأمر لدى خليل. فبعد أن أعلمنا بأن مكة عَجَّتْ باليهود والنصارى وأصحاب الأديان الأخرى نجده يتحدث فجأة عن "**الوثنية التي غرقت فيها قريش آنذاك إلى الأذقان.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٥١) وحدثنا في موضع آخر عن عيد بوانة الوثني: "**وعيد بوانة ... يشي بأن القرشيين على بكرة أبيهم اعتادوا حضوره وشهود مراسمه..**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ٢٣٨) فالكلمات: "**عن بكرة أبيهم**" واضحة تُبْرِزُ تناقض خليل وتشير بقوة إلى خطأ الادعاء بأن مكة كان تعج باليهود والنصارى والصابئة. وبما أن الشيء بالشيء يذكر نتطرق إلى أن معظم كتاب التاريخ عندما يتحدثون عن انتشار النصرانية في مكة يأتون بالأسماء النصرانية التالية لإثبات رأيهم: ورقة بن نوفل، عداس الراهب – سرجيوس – بحيرا (أو نسطور أو سركيس)–

البطريق، عثمان بن الحويرث – قتيلة أخت ورقة ...(انظر الصفحة ١٤٠ من كتاب خليل وما تلاها). لقد اهترأت حفنة الأسماء المذكورة من كثرة التكرار ودار حول صحة وجود بعضها تساؤلات. فهل يمكن لأسماء خمسة أو ستة أو عشرة أن تجعل منهم جالية تعج بها مكة؟

إن هدفنا من كلامنا لا يعبر عن اتخاذنا لرأي دون غيره وإنما نكشف به اهتزاز الاستنتاج والتوثيق عند خليل عبد الكريم.

قبل إيراد المزيد من الأمثلة على تناقضات خليل نود عرض نصٍّ كَتَبَهُ نرى فيه مجرد فلسفة خاوية. لنقرأ لديه:

"إن القرآن الكريم سجل هذه الفترة من حياة (المعطى الوسيلة) وهو شأن بالغ الثمانة، عظيم النفاسة، مديد الغلاء، مرتفع السعر كبير القيمة، لأن ما ينص عليه الذكر الحكيم في آياته البينات تعنو له جبهة كل مسلم ولا يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة من معارضة."

الفترة المقصودة هي السنوات الواقعة بين زواجهما وبدء الدعوة. و "المعطى الوسيلة" هو محمد (ص). أما الكلام الذي يستثير الحفيظة فهو باقي كلمات النص. فما معنى: بالغ الثمانة، عظيم النفاسة، مديد الغلاء، مرتفع السعر كبير القيمة؟ لو جاز لنا أن نستخدم مثلاً عامياً يقال في مثل هذا الموقف لما وجدنا وصفاً لكلام خليل الفارغ أوقع من القول العامي في بلاد الشام: "تلحيس بزاق" أي: "تلحيس بصاق"! وما معنى أن "**الذكر الحكيم في آياته البينات تعنو له جبهة كل مسلم ولا يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة من معارضة؟**" إنه كلام يبدو عليه التفخيم ولكنه، في رأينا، يهدف إلى التبخيس والإساءة. وربما الأنكى من ذلك هو أن خليلاً وضع عند كلمة "معارضة" حاشية رقمها ٩٦ فانطلقنا إليها على الصفحة ٤٠٠ متوقعين اكتشاف شرحٍ ذي أهمية تتعلق بالمضمون فإذا بنا نجده كتب: "**تقول العامة في مصر ما يقدرشي يكح.**" ترى هل كلف نفسه ذلك الجهد الكبير ليفسر لنا التعبير: "**ينبس ببنت شفة**" بـ "**ما يقدرشي يكح؟** فما هذا الاستهتار بالقارئ وبالبحث العلمي؟ لمن يكتب هذا الكاتب الغامض كتابه المهتز؟

نعود لنذكر بأن خليلاً لم يذكر بنفسه كون ورقة بن نوفل قضى ستين عاماً من عمره يرتع في آفاق الوثنية باطمئنان متعبداً للأصنام وإنما اقتصر على إيراد اقتباسات تشير إلى ذلك دون محاولة الدخول في نقاش موضوعي حول تلك النقطة ودون أن يعيرها أي نصيب من التقييم أو يمنحها أي قسط من البحث والتحليل. إن من يقضي ٦٠ عاماً من عمره في الوثنية أحرى به ألا يتصارع أو يتحاور مع معتقد جديد بعد بلوغ هذا العمر. فأبو طالب مثلاً لم يعترض على دين الدعوة الجديد بل إنه دافع عن ابن أخيه محمد بكل ما لديه من مكانة متميزة في صفوف قريش ولكنه اعتذر عن ترك معتقد آبائه لتوفر شعور لديه بالولاء للمعتقد الذي شب عليه. لقد ذكر خليل وثنية ورقة بإيراده لاقتباسات مقتضبة أخذها كمسلمات ولذلك نتساءل: هل سحب خليل عامداً الفكرة القائلة بأن ورقة هو الذي صنع محمداً (ص) إلى خارج نطاق البحث ونسب هذا الإنجاز إلى خديجة لأن الأول تمرغ في الوثنية منذ ولادته حتى ما بعد الستين من عمره؟ نحن نميل إلى هذا الاعتقاد لأنه لا يمكن لباحث مدقق أن يمر على وثنية ورقة دون أن يستنتج أفكاراً وأحكاماً ليست في صالحه على الإطلاق. لقد ظهر كتاب خليل في عام ٢٠٠١ بحيث يصعب علينا أن نصدق أنه لم يطلع على الكتب الهادفة والمتعلقة بصلب هذا الموضوع تماماً مثل كتابي أبي موسى الحريري (**قس ونبي**) ويوسف درّة الحداد (**القرآن دعوة نصرانية**) التي عالجناها في كتابنا المذكور وفندنا مضامينها فكرة إثر فكرة وهدمنا بنيانها لبنة إثر لبنة. فالحداد والحريري انتهجا قبله منهجه بكل دقة تقريباً مع فارق أنهما جعلا من ورقة النبي الحقيقي بينما جعل خليل دوره في مرتبة ثانية لأن عراقته في عبادة الأصنام وانقلابه من دين إلى دين إلى دين لا يؤهله لتسنم مهمة صنع الأنبياء. ولم يجد خليل حلاً مقنعاً ولا مخرجاً فيه قبس من المنطق إلا بالاستنجاد بخديجة (ر) التي كانت متزوجة من نصراني مما يبعدها عن مساوئ الوثنية وهناتها. لقد أراد خليل في واقع الأمر الوصول بقرائه إلى ذات النتيجة التي أرادها الكاتبان المسيحيان، وهي أن دين محمد (ص) [نستخدم هذا التعبير تجاوزاً] لا يعدو كونه نصرانية استقى مضمونها من بشر مثله. ولكنه عندما اكتشف أنه لا يستطيع اقتفاء المنطق الذي لجأ إليه الكاتبان للوصول إلى هدفه استنبط من خيالٍ خصبٍ "صانعاً" آخر للنبي لا تشوب حياته شوائب الوثنية لعشرات السنين. وما أن

وجد صانع النبي الجديد، أو صانعته، حتى شحذ مواهبه وكرس كل مقدرته ليسهل على القراء تقبلها "صانعةً" للنبي العربي.

فتور الوحي

من المواضيع الأساسية التي حاول خليل تسخيرها للوصول إلى أهدافه توجيه الأضواء القوية التي تبدو لتشير بأن نصوص الوحي من صنع ورقة بن نوفل. وهذا هو الهدف الذي سبق أن سعى إليه الحداد والحريري في كتبهما. يقول خليل:

" **إذن اقتران فتور الوحي بموت القس أمر مؤكد ولا يستطيع أن يماري أو يجادل فيه أحد بعد أن حملته إلينا هذه المؤلفات التي تلقتها أمة لا إله إلا الله بالتجلة والاحترام. وكالعادة يحاول المؤلفون المحدثون أن يفصلوا بينهما أو أن يقدموا تعلات[٥٢] واهية لقرن القدامي بينهما.**" (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٩٥)

إني أندد بهذه الفرضية المغرضة وأجيب على خليل عبد الكريم بما يقطع الشك باليقين كما فعلت في جوابي على الحداد والحريري في كتابي: "**القرآن ليس دعوة نصرانية**" الذي أقتبس منه جوابي المفصل مضيفاً إليه بعض الحجة الجديدة. فتسليم خليل الطوعي بانقطاع الوحي بمجرد وفاة ورقة بن نوفل خطأ كبير وتجاوز معيب للعلم والمعرفة نستنكر على خليل أنه صفق الباب في وجه أي باحث يريد أن يجادل فيه. إن صفق الباب في وجه مناقشة هو ضعف حتى ولو كان صافق الباب على حق. فكيف يكون تصرفه إن لم يكن على حق إطلاقاً كما هو الحال مع خليل؟ إن باحثاً قديراً دقيق المحاكمة والاستنتاج لا يقع في مطب كهذا، ولو منح القائمة الطويلة من المراجع التي استعان بها لتوثيق انقطاع الوحي بمجرد وفاة ورقة بن نوفل حقَّها من التدقيق لوصل إلى عكس ما استنتجه. ونشير إلى أن مواد الإجابة على خليل مقتبس من كتابنا "القرآن ليس دعوة نصرانية"

---

[٥٢] - هل يقصد: تعليلات؟

استند الحريري والحداد في محاولتهما لانتشال ورقة بن نوفل من عزلته التاريخية لتنصيبه نبياً في العصر الحديث على صحيح البخاري فاقتبسا منه جملة وردت على لسان عائشة هي بمثابة حجر الزاوية لاستنتاجهما: "**ولم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.**" (الحريري، صفحة ٥٣)

إنهما يضعان الجملة أمام ناظرينا ليفهمانا إياها على الشكل التالي: "وما إن توفي ورقة الذي كان يهمس بالوحي في أذن محمد (ص) حتى توقف النزول إلى فترة غير محددة بدقة وإنما تتراوح بين عدة أشهر وسنتين." ومن ذلك يستنتج الكاتبان أن القرآن ليس وحياً من الله وإنما من صياغة ورقة. ولكن لماذا يربط الكاتبان موت ورقة بفتور الوحي؟ إن استنباط "السببية" بين وفاة ورقة وانقطاع الوحي استناداً إلى هذه الجملة لا يستقيم. فكل سياق الكلام في حديث عائشة لا يوحي بها. لنقرأ معاً النص الكامل للاقتباس من مصدره الأصلي بتأنٍ:

"**فانطلقت به** [بمحمد (ص)] **خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – ابن عم خديجة – وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى" "فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى" فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذَعاً، ليتني أكون حياً إذ يُخرِجُكَ قومُك. فقال رسول الله (ص) "أومُخرِجيَّ هم؟" قال نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عوديَ، وإن يُدرِكْني يومك أنصرُكَ نصراً مؤزَّراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي.**" (صحيح البخاري بشرح الكرماني، صفحة ٣٨/١)

لنحاول استحضار الصورة التي تُستوحى من الاقتباس لاستقراء مضمونها لنرى، مبدئياً، أن سؤال ورقة لمحمد (ص): "**يا ابن أخي ماذا ترى؟**" هو "**..دليل على عدم وجود التواطؤ بين الاثنين لإخراج هذه الرواية، ودليل على أن ورقة كان جاهلاً بما يجري لمحمد (ص).**" (عمران، صفحة ١٤٦)

إن الجو العام للحديث الذي سادَ بين محمد (ص)، الفائرةُ نفسةُ من الحدث الكبير بلقائه مع جبريل وبين رجل حكيم، "متقاعد"، أعمى وأصم، قابعٍ في بيته لا يسمع سوى ما ينقله الآخرون إليه يدل بقوة على أنه كان بعيداً عن مثل هذه الأجواء. فلا يبدو أنه كان يحيط بماذا يحدث حوله، ولا يعطي انطباعاً بأن محمداً (ص) كان على اتصال وثيق دوريٍّ به. لقد طرح سؤاله على محمد (ص) لأنه ليس على علمٍ بأحواله ولا على صلة تلازمية معه. وفوجئ بجواب محمد (ص)!! لأنه لو كان على علم به لما طرح السؤال. وبإعراب ورقة عن استعداده لدعم محمد (ص) دعماً قوياً إن كُتِبَ له أن يعيش يعبر عن معرفته بأن حالته الصحية وهو في المائة من العمر أسوأ من أن تسمح له بالمؤازرة. ولذلك استرسل قائل الحديث أو كاتبه، عائشة أو البخاري، أو كلاهما معاً، في أن ورقة لم يلبث أن توفي فلم يتمكن من مؤازرة محمد (ص). أما كلمتا "وفتر الوحي" فلا ارتباط ملزم بينها وبين ما سبقهما. ويؤيد ذلك ما كتبه ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري حيث قال: "**والواو في قوله وفتر الوحي ليست للترتيب، فلعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمر من الأمور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى عمله لا إلى ما هو واقع.**" (فتح الباري، صفحة ٤٠)

لو كان الوحي جاء من ورقة أو من ترجمته للإنجيل العبراني لما انقطع الوحي عن محمد (ص) ما دام هو مترجماً موجوداً. فإقرار الحريري بأن ورقة ترجم الإنجيل خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره **<u>بحضور محمد (ص)</u>** ينفي ضرورة وجود ورقة حياً ليستمر محمد (ص) بإنزال الآيات على أقساط. أما إذا كان ورقة همس في أذن محمد (ص) ذلك الوحي على مدى ثلاث سنوات الأخيرة من عمره وهو أعمى وأصم ثم توقف عن الإيحاء فهذا شطط فكري. فلو كان الأمر كذلك لاختلف الأسلوب القرآني لغوياً وبلاغياً بشكل ملحوظ قُبيل وبُعيد عهد القس. وهذا ما لم يلمس له أثراً أي باحث مدرك للغة العربية ولإعجاز القرآن. ونضيف إلى ذلك أن آيات القرآن كانت تنزل حسب مناسبات كانت تحصل طوال سني النبوة أو بوصفها إجابات على أسئلة دينية طارئة تختلف من حالة إلى حالة مما لا يمكن للقس أن يكون تنبأ بحدوثه.

ومن البديهي أن موت ورقة لم يفاجئ أحداً طالما هو أصم وأعمى ومريض خلال مدة لا تقل عن ثلاث أو أربع سنوات سبقت وفاته. ولا يمكن لورقة أن يكون استمر بهمس الوحي حتى أيامه الأخيرة. لذلك فإن الصورة التي يتمنى الكاتبان ترسيخها في عقول الناس بأن الوحي بُترَ بتراً بوفاة ورقة تصبح شذوذاً محضاً.

وفتور الوحي لم يحصل بعد وفاة ورقة فقط وإنما مرت عدة حالات من هذا النوع مثل الواقعة عندما تساءلت خديجة (ر) مستغربة عدم استمرار نزول الوحي لتستنتج أن جبريل "أهمل" محمداً (ص). (قلاه). يقول الطبري:

"**ثم أبطأ عليه الوحي فقالت له خديجة ما أرى ربك إلا قلاك** [أي أهمل شأنك] **قال فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى.**" (تاريخ الطبري، ج ١ صفحة ٥٣٢)

ونقرأ في "الخصائص الكبرى":

"**وفتر الوحي فترة فحزن رسول الله فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا لكي يتردى من رؤوس شواهق**[٥٣] **الجبال كلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ويرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فتبدى له جبرئيل فقال مثل ذلك**" (الخصائص الكبرى، ج ١، صفحة ١٥٦)

لننتبه إلى أن كلا الاقتباسين لا يشير إلى أية علاقة بين فتور الوحي ووفاة ورقة. وسنوثق بعد قليل أن الفترة الأطول لفتور الوحي استمرت سنتين خلال حياة ورقة. فالفتور لم يبدأ بوفاة ورقة ولم يقتصر على فترة لاحقة مباشرة لوفاته وإنما تكرر مرارا

---

[٥٣] – في كراس صغيراحتوى على تنبيهات من الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي بعد قراءته المتأنية للكتاب أشار إلى الروايات التي تتحدث عن أن محمداً (ص) همَّ بأن يرمي بنفسه من شواهق الجبال فكتب: " **روايات السيرة التي تذكر أن النبي (ص) همَّ أكثر من مرة أن يتردّى من رأس الجبل حزناً وغماً لانقطاع الوحي عنه، روايات ضعيفة في أسانيدها، وقد اغتر البعض بورود إحدى هذه الروايات في البخاري، فاعتبروها صحيحة، والتحقيق يبين أنها ليست على شرط البخاري وإنما هي من بلاغات الزهري.**"

قبل وفاته وبعدها. فلماذا التقط الحريري حادثة واحدة غير ثابتة فتفرد بها استفراداً لإثبات باطلٍ أراد أن يقنعنا بصحته؟

لنتطرق الآن إلى نقطة شديدة الحساسية وثقها عدد من المستشرقين الذين تعمقوا في الإسلام ابتداء بما كتبته المستشرقة الإنكليزية المعروفة عالمياً: كارين آرمسترونغ **(Karen Armstrong)** والتي وصفها خليل بأنها "**على قدر لا بأس به من الأمانة العلمية**" (صفحة ٩٠) حيث قالت:

"**بعد نزول النصوص الأولى من الوحي سادت فترة من الصمت ودامت مدة سنتين. وكانت هذه الفترة مدعاة للإحباط الشديد. فبعض المؤرخين المسلمين نسبوا إلى محمد رغبة منه بالانتحار. فلقد ساءل نفسه: هل وُجِّهَ إلى طريقٍ خاطئ؟ أو هل وجده الله غير صالح لحمل الرسالة فتخلى عنه؟ وكان الصمت لا يُحتمل تقريباً. ولكن السورة الثالثة والتسعين،**[٥٤] **سورة الضحى، نزلت تحمل تأكيداً مشرقاً.**" ثم أوردت المستشرقة آرمسترونغ نص السورة كاملاً.(آرمسترونغ، صفحة ١١٦/١١٧)

لقد تعمدنا إيراد ما قالته المستشرقة المسيحية الغربية في كتابها: "**محمد، مؤسس دين ودولة**" لأنها ألقت على موضوع انقطاع الوحي أسطع ضوء ومحقت بشهادتها مقولة الحداد والحريري وعبد الكريم دفعة واحدة. ففترة انقطاع الوحي دامت سنتين كان ورقة خلالها ما زال على قيد الحياة! وبدأ الفتور بعد الآيات الأولى ثم "صمتَ" ورقة. واستمر "الصمت" عامين ولم يبق في عمر القس سوى عام واحد. فهل هو الذي توقف عن "إمداد" محمد (ص) بالوحي خلال سنتين ثمينتين من عمره ومن عمر الدعوة ؟ ما السبب المحتمل لتوقفه عن همس الوحي؟ هل عادت صحوته من المرض والصمم والعمى وهو في الأشهر الأخيرة التي سبقت وفاته؟

وهناك كاتب بريطاني آخر هو مارتن لينغز (**Martin Lings**) كتب عن فتور الوحي بعد نزول بشائره الأولى فقال: "**بعد فقرات الوحي الأولى جاءت مرحلة من**

---

[٥٤] – نشير إلى أن رقم الآية ٩٣ لا يعني أنها نزلت بعد ٩٢ آية نزلت قبلها. فترقيم السور لم يتم حسب تاريخ النزول.

الصمت جعلت النبي يخشى أن يكون قد تسبب في تخلي السماء عن تأييده.[°°]..وأخيراً انكسر صمت السماء وجاء تأكيد جديد بنزول سورة الضحى." (لينغز، صفحة ٤٥) وبما أن سورة الضحى نزلت في حياة ورقة تترسخ صحة الخبر القائل بأن مدة الفتور الطويلة التي أثارت القلق والشكوك كانت في حياة ورقة وهذا ينفي أي دور له في همس أي وحي كان.

بدأ نزول الوحي بسورة "العلق" ثم "القلم" ثم "المزمل" ثم "المدثر" ثم "الفاتحة" ثم "المسد" ثم "التكوير" ثم "الأعلى" ثم "والليل" ثم "والفجر" ثم توقف الوحي مدة سنتين ثم نزلت "والضحى".

أما الكاتب الفرنسي مكسيم رودينسون (**Maxime Rodinson**) فبَيَّنَ أيضاً أن مرحلة فتور الوحي التي أقلقت محمداً (ص) وخديجة (ر) كانت في مراحل الدعوة الأولى بقوله: "**وبعد أن ألِفَ محمد الفكرة بأن قدره سيكون مميزاً شعر بالخوف من أن اعتقاده هذا لا أساس له. والسبب الأول الذي أثار لديه الشك في أن الله تخلى عنه هو توقف الوحي الإلهي لمدة من الزمن."..."وكان اضطراب محمد كبيراً ونُسب إليه قوله: "لقد فكرت بأن أرمي بنفسي من صخرة في أعالي جبل"** حراء." (رودينسون، صفحة ٧٦)

والمستشرقة الأستاذة أنجيليكا نوي فيرت (**Angelika Neuwirth**) أكدت "**أن السورة رقم ٩٣** [سورة الضحى] **تعتبر من أوائل النزول.**" (نوي فيرت، صفحة ١٨٢)

إن هذا الكلام يؤكد عدم وجود أية علاقة سببية بين ورقة وبين همس الوحي في أذن محمد (ص) وفتوره. وكيف يكون صاحب الوحي إن كان قد فوجئ بلقاء جبريل مع محمد (ص)؟ هل تآمر ورقة، وهو أعمى وأصم ومريض في المائة من العمر، مع محمد (ص) وأمره بأن يذهب إلى غار حراء ويعود ليقوم بهذه المسرحية أمام خديجة (ر) لتصحبه بعدئذ إلى ورقة ليتنبأ له بالنبوة؟ وما هي ضرورة حصول أية مسرحية إن كان التخطيط لإظهار الدعوة تم ضمن "خلية" مغلقة بقيادة ورقة؟ لو كان محمد (ص) قد نزل من غار حراء واتجه فوراً إلى الكعبة ليجهر أمام الملأ بنزول الوحي إليه فوجد ورقة في انتظاره

[°°] – بمعنى أنه خشي أن يكون قد قام بتصرف جعل السماء تتخلى عنه.

هناك للتغطية على هدفه لفهمنا وجود تخطيط إعلاميّ مسبق. أما ذهابه إلى خديجة (ر) فلا يشير إلى تخطيط ولا إلى رغبة بافتعال ضجة علنية.

نعود الآن إلى مناقشة موضوع فتور الوحي انطلاقاً من قول الحداد:

"ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي." فحزن محمد حتى كاد ينتحر. فهذا الحديث يدل، فيما يدل، على أن محمداً كان يحضر مع أستاذه ترجمة إنجيل النصارى إلى العربية. وحزنه حتى الانتحار يدل على أن القس ورقة كان أستاذه، خصوصاً في (إنجيل النصارى). وهذه شهادة مزدوجة على " نصرانية " محمد، وعلى دراسته النصرانية."

(حداد، صفحة ٢٩٣)

ما هذا المنطق المشوه والمتحامل؟ لقد أعلمنا الحريري من عنده بدون أي إثبات بأن محمداً (ص) حضر ترجمة ورقة للإنجيل. فكيف يستخدم فتور الوحي الذي حصل فيما بعد دليلاً على حضور محمد (ص) أثناء الترجمة؟ ما هي السببية أو العلاقة التي تربط فتور الوحي الذي حصل وورقة قد جاوز المائة من العمر مع الادعاء بأن محمداً حضر أعمال الترجمة؟ إنه يستخدم معلومتين لا دليل ولا مؤشر على صحة أي منهما ليضعنا أمام معلومة ثالثة أضعف من الاثنتين. ثم كيف يجزم الحداد بنصرانية محمد (ص) استناداً إلى هذا النص الذي لا يوحي بوجود علاقة بين حزن محمد (ص) وبين حضوره أعمال الترجمة؟ كيف يختلق الحداد مثل هذا الادعاء إن كان الوحي فتر أكثر من مرة ونزلت به خلال حياة ورقة الآية الثالثة من سورة والضحى؟

ولو كانت ترجمة الإنجيل إلى قرآن قد تم إنجازها بحضور محمد (ص) لاطمأن محمد (ص) كل الاطمئنان ولاستمر بتلاوة الوحي بصفته حاضراً لجميع أعمال الترجمة وملابساتها، ولما فقد صوابه ولما تعرض لرغبةٍ مزعومةٍ بالانتحار، حسب ادعاء لا سند له.

وفي سياق الحديث عن فتور الوحي نورد إثباتاً على لجوء الحداد إلى تزييف ماكر جداً ليوثّق ادعاءاته. لنقرأ الفقرة التالية التي كتبها في كتابه مقتبساً إياها من الصحيحين حول حديث عائشة:

"ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفترَ الوحيُ." فالحديث الصحيح يجعل صلة سببية بين وفاة ورقة وفتور الوحي. أجل يجعلون للوحي المحمدي فتوراً على فترات، لكنه كان عابراً. أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث: "وفي كلام صاحب "كتاب الخميس" في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة، وأنه آمن به، وتقدم أنه الموافق لما في "الإمتاع" من أنه مات في السنة الرابعة." فلما توفي ورقة فقد محمد صوابه وكاد ينتحر لولا لطف الله." ولقد قيل إن النبي ضاق ضيقاً شديداً بانقطاع الوحي عنه وأنه كان يهيم على وجهه في الصحراء يناجي ربه. وبلغ به الأمر مرةً أن همَّ بإلقاء نفسه من قمة جبل شاهق." (حداد، صفحة ٣٢٢ – ٣٢٣).

لنوزع المضمون إلى مختلف جمله:

١ – **"ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفتر الوحي."**

٢ – **فالحديث الصحيح يجعل صلة سببية بين وفاة ورقة وفتور الوحي. أجل يجعلون للوحي المحمدي فتوراً على فترات، لكنه كان عابراً. أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث**

٣ – **"وفي كلام صاحب "كتاب الخميس" في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة، وأنه آمن به، وتقدم أنه الموافق لما في "الامتاع" من أنه مات في السنة الرابعة."**

٤ ـ **فلما توفي ورقة فقد محمد صوابه وكاد ينتحر لولا لطف الله.**

٥ – **."ولقد قيل إن النبي ضاق ضيقاً شديداً بانقطاع الوحي عنه وأنه كان يهيم على وجهه في الصحراء يناجي ربه. وبلغ به الأمر مرةً أن همَّ بإلقاء نفسه من قمة جبل شاهق."**

فكلمة: (يلبث) في الجملة رقم (١) من كلام الحداد يوضّح بها معنى " ينشب ".

والجملة رقم (٢) جميعها من كلامه أيضاً، يحاول بها إقناعنا بأن الفتور الأطول حصل بعد وفاة ورقة وهذا ما أثبتنا خطأه.

والجملة رقم (٣) اقتبسها من كتاب الخميس، فلا اعتراض عليها.

أما الجملة رقم (٤) فهي من اختراعه، حشرها من عنده بين استشهادين موثقين. أحدهما من السيرة الحلبية والآخر من محمد صبيح. وبحشر كلامه المختلق بين المرجعين الموثقين حاول أن يضفي على رأيه الخاص صفة المرجعية الموثقة. وعندما نراجع الاستشهادين بدون "الحشوة الدخيلة" لا نجد في أي منهما علاقة بين موت القس وبين فقدان محمد (ص) لصوابه. ونستنتج من ذلك أن رَبْطَ الحداد بين التعابير الثلاثة: وفاة القس – فتور الوحي – الانتحار، هو تشويه ماكر للحقيقة. وبذلك ينتفي تلقائياً وجذرياً ادعاء الحداد بأن: "**إقدام محمد على الانتحار بسبب وفاة "القس" برهان تاريخي قاطع على أثر ورقة بن نوفل في النبي والقرآن.**" (حداد، صفحة ٣٢٣).

وثمة تزييف آخر في الاقتباس عندما كتب: "**أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث**" فادعاء الحداد بأن الفتور الكبير حصل بعد أربع سنوات من الدعوة مختلق لأن الاقتباس من كتاب "**الخميس**" لا يشير أبداً إلى ذلك وإنما هو سردٌ محايد لآخر مرحلة من حياة ورقة لا يذكر فيه فتور الوحي، ولا يعالجه، ولا علاقة له به على الإطلاق. هذا بالإضافة إلى توثيقات المستشرقين الغربيين بأن فترة انقطاع الوحي الطويلة حصلت أثناء حياة ورقة بن نوفل.

يجدر بنا هنا التذكير بأن الحريري والحداد "استنجدا" بسورة الضحى القرآنية ليثبتا فتور الوحي استناداً إلى القرآن. لكن من طرائف الأمور هو أن استخدامهما لهذه السورة بالذات شارك مشاركة أساسية في إثبات تزييفهما. إن إيرادهما لها دليلاً لهما انقلب عليهما لأن السورة تضعنا أمام تساؤل مهم: فإن كانت نزلت قبل وفاة القس، وقد نزلت فعلاً وهو على قيد الحياة، يتلاشى دور القس في "نزول" الوحي. وأما إن نزلت بعد وفاته فكيف

يمكن للقس ورقة، "وهو كاتب القرآن الحقيقي" (المزعوم) أن يتنبأ بأن الوحي سيفتر بعد وفاته فيكتب تلك السورة المستقبلية؟ وإن كان قادراً على التنبؤ فلماذا لم يتدبَّر هذه المشكلة العويصة التي كادت أن تؤدي إلى انتحار محمد (ص)؟ (انظر صفحة ٣٢٩ من الحداد أيضاً.)

ولا يجوز لنا اختتام تفنيد ادعاء خليل بفتور الوحي فور وفاة ورقة إلا بعد أن نطرح سؤالاً جذرياً بعد أن أعلمنا خليل في كل موضع من كتابه بأن خديجة (ر) هي التي صنعت محمداً (ص). فإن كانت لها جملة الصفات الإيجابية التي لا تدع مكاناً لخرم ابرة من نقائص أو فجوات، وإن كانت هي التي دَرَّسَت محمداً (ص) ولازمته، وإن كانت اطلعت على علم ومعارف ورقة وبحيرا وعداس والبطريق ونسطور فلماذا لم تتابع هي همس الوحي في أذن تلميذها النجيب؟ وكيف استطاع هذا التلميذ متابعة الوحي على مدى عشرين سنة بعد وفاتها؟ فإن حَصَرَ خليل الوحي بورقة بن نوفل لسقطت مكانة خديجة (ر) التعليمية إلى العدم. أما إذا كانت على تلك الصفات التي ذكرها لنا وكررها حتى الملل فلماذا لم تكمل هي الوحي؟

كلمة الختام

ها نحن انتهينا من كتابة هذا الكتاب جواباً على خليل فحقَّ لنا أن نتساءل: ترى من هو المسكين في معمعة تضخيم شأن بعض رجالات التاريخ أو تبخيس قدرهم؟ هل المساكين هم أمثال ورقة و خديجة (ر) أم المفترون الذين تاهوا بين أحقادهم وخيالهم على شاكلة الحداد والحريري وخليل عبد الكريم الذين ما عادوا يعرفون أي منقلب ينقلبون؟

يمكن تلخيص أهداف خليل عبد الكريم بأن خديجة (ر) وورقة هما اللذان صنعا محمداً (ص). وهما من البشر. وهذا ينفي فكرة الوحي الإلهي. ونحن نريد أن نسير مع أفكار خليل مؤقتاً لنتساءل بعدها:

وماذا علَّماه أو أعطياه إن كانا أصلاً قد منحاه أي شيء؟

هل علماه المسيحية؟ بالطبع لا! فنصوص القرآن في رفض الثالوث والتثليث أوضح من أن تغيب عن عين إنسان.

هل علماه النصرانية؟ بالطبع لا أيضاً ! صحيح أن مضمون النصرانية أقرب إلى الإسلام من مسيحية التثليث لأنها ترفضه كما ترفض كون عيسى (ع.س.) ابن الله. ولكن تعاليم الإسلام ونصوص القرآن تشمل أموراً وتشريعات وقوانين لا يوجد لها مثيل لا في النصرانية ولا في أي كتاب آخر.

هل أعطياه نصوص القرآن؟ بالطبع لا ! فغالبية النصوص المكية لا تتناول سوى أمورٍ حدثت في وقتها. أما السور المدنية فقد تعاطت مع تشريع لا وجود لمثيله في الإنجيل ولا في التوراة. وورقة وخديجة (ر) توفاهما الله قبل أن يطلعا على الأحداث التي

تسببت بنزول السواد الأعظم من السور الأخرى.[٥٦] ولذلك فلم يعطه أي منهما نصوص القرآن.

إن كانت خديجة (ر) وورقة قد احتجزا محمداً "اللين" "الطيع" "المسالم" الذي لم يكن لديه أية ثقافة دينية لمدة ١٥ سنة وعَلّماه النصرانية التي يدينان بها أو التي كانا قانعين بها فلماذا ظهر الإسلام الذي يختلف عن النصرانية بأمور جذرية شتى؟ من هو الذي سبك مضمون الإسلام؟ هل يوجد أي مؤشر في أي مكان ما يثبت أن لورقة أو لابنة عمه ضلع في أية دعوة لتعاليم تميَّزَ بها الإسلام؟

لقد اكتشفنا شرخاً كبيراً في أسلوب خليل عندما جعل من ورقة وخديجة (ر) أستاذين صنعا محمداً (ص). لا شك في أن المعرفة أخذ وعطاء. فكل إنسان أخّاذ من محيطه ثم يصبح في الحالات الطبيعية معطاءً له. هذه هي سنة الحياة. واحترام الإسلام الشديد لكل أستاذٍ معطاء يُعَبَّرُ عنه بالمثل القائل:

" من علمني حرفاً كنت له عبداً."

لكن العطاء لا يرقى بالمعطي ليصبح صانعاً للأنبياء. ولا يتطور تلميذ إلى درجة لها سمو لا حدود له إلا إذا كان " مختاراً ". فالأساتذة ما أكثرهم. أما التلاميذ الذين يصلون إلى أوج الأوج فهم نادرون.

فإذا ما اعترفنا بأن لكل أستاذ فضل على تلاميذه لاستنتجنا بأن خليلاً لم يأت في كتابه بأي فكرة جديدة تستحق التمعن بها ولكأنه لم يكتب هذا الكتاب الذي قد ينجح في خلق البلبلة في الصفوف أكثر من كونه يعطي المعرفة أي نصيب.

نذرت كتابي هذا لردِّ هجمات موتورة على الإسلام. ولكن لا بد لي من الإشارة إلى ضرورة أن يتفاعل المعتدلون المنفتحون من المسلمين مع واقع البشرية في عصرنا الحاضر. فإن لم يطوروا أساليبهم في التعاطي مع المشاكل الطارئة التي تزلزل الأرض

---

[٥٦] - وهذا يشكل جزءاً مهماً من كتابنا: القرآن ليس دعوة نصرانية". ونرى أن كتابينا هذين يكمل واحدها الآخر.

تحت أقدام البشرية واستمروا على تصلبٍ لا مسوغ له لانكسروا كسراً ولانتكس الشأن الذي يدعون إليه.

إن الإسلام دين عدل وتسامح. فليتسامح قادة الفكر الإسلامي مع مشاكل أجيال وشباب هذا العصر الذين يتعرضون إلى شتى أساليب التوريط وغسل الأدمغة كي ينحرفوا عن مبادئهم.

* * *

المراجع

القرآن الكريم.

العهد القديم.

الأناجيل.

في المراجع التالية على النقاط الخاصة CDاطلعنا عن طريق أقراص الحاسوب، بموضوع كتابنا وعلى ما يتعلق بالأسماء الرئيسية الداخلة في الموضوع:

تفسير الطبري – تاريخ الطبري – تفسير ابن كثير – البداية والنهاية – الدرر لابن عبد الدر – السيرة النبوية لابن هشام – فصول من السيرة – السيرة الحلبية – تاريخ خليفة بن خياط – أخبار مكة للفاكهي – التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة – غاية السول في سيرة الرسول – صحيح البخاري (الجزء الذي يتحدث عن السيرة) – الروض الأنف للسهيلي – سيرة ابن إسحاق – الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والخلفاء – المقتفى من سيرة المصطفى – الثقات (الجزء الذي يتحدث عن السيرة) – زاد المعاد – مسند الحارث – صفة الصفوة – المنتخب من كتاب أزواج النبي – الخصائص الكبرى – الشمائل المحمدية – معرفة أسامي أرداف النبي – التراتيب الادارية – دلائل النبوة للفريابي – الذرية الطاهرة – الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي – دلائل النبوة للأصبهاني – الصارم المسلول – تخريج الدلالات السمعية – معجم الصحابة – مقتل الشهيد عثمان – الطبقات الكبرى مع القسم المتمم لها– الآحاد والمثاني – فضائل الصحابة – الرياض النضرة – الاستيعاب – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

١ - ابن كثير، "مختصر تفسير ابن كثير" دار القرآن الكريم دمشق ، بيروت، طبعة ثانية، ألمانيا عام ١٣٩٦ هجرية، ثلاث مجلدات.
٢ - ابن الأثير (الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد) ، "الكامل في التاريخ"،دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٥.
٣ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، "مقدمة ابن خلدون"، لجنة البيان العربي،الطبعة الثانية، القاهرة، (٢٧ ش الاسماعيلي) ١٩٦٦.
٤ - ابن سعد، "الطبقات الكبرى" دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥.
٥ - أبو خليل، د. شوقي، "الحوار دائماً" طبعة ثانية، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق ٢٠٠٠.
٦ - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، "التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة"، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.
٧ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزْبَهْ الجُعفي، صحيح البخاري، لجنة إحياء كتب السنة ، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ١٣٨٦ هجرية.
٨ - بوكاي، د. موريس، "التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث"، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.
٩ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، "فقه السيرة النبوية"، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢.
١٠ - بيجوفيتش، علي عزت، "الإسلام بين الشرق والغرب"، مجلة النور الكويتية، الكويت، ومؤسسة بافاريا للنشر، ميونيخ ١٩٩٤.
١١ - الترمانيني، د. عبد السلام، "الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام"، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤.
١٢ - تولستوي، ليف، "حِكَم النبي محمد" دار الملوحي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، طبعة ثانية ١٩٩٧.

١٣ – الحداد، الأستاذ، (المقصود: يوسف درة الحداد)، "القرآن دعوة نصرانية" بدون دار نشر ولا عنوان ولا تاريخ للنشر.
١٤ – الحداد، يوسف درة، "القرآن والكتاب" منشورات المكتبة البولسية" بيروت – جونية، طبعة ثالثة ١٩٩٣.
١٥ – حريتاني، د. سليمان، "توظيف المحرَّم"، دار الحصاد للنشر والتوزيع، طبعة أولى، دمشق ٢٠٠٠.
١٦ – الحريري، أبو موسى، (المقصود هو الأب جوزيف قزي) "قس ونبي" بدون دار نشر ولا عنوان، عام ١٩٧٩ وطبعة أخرى لذات الكتاب ضمن سلسلة: الحقيقة الصعبة، دار "لأجل المعرفة" ديار عقل، لبنان ١٩٨٥.
١٧ – الحلبي، علي بن برهان الدين، "السيرة الحلبية في سيرة المأمون – إنسان العيون" ، دار المعرفة، بدون عنوان الدار، وبدون تاريخ الطبع.
١٨– حومد، د. أسعد محمود، "رداً على كتاب قس ونبي – دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب"، دمشق ١٩٩٨.
١٩ – الدالاتي، د. عبد المعطي، "ربحت محمداً ولم أخسر المسيح" دار الشهاب، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٩
وطبعة دمشق عام ٢٠٠٢.
٢٠ – خالد، محمد خالد، " رجال حول الرسول"، دار المقطم، القاهرة ١٩٩٥.
٢١ – دروزة، محمد عزة، "القرآن والمبشرون"، الدار الاسلامي، بدون مكان، ولكن موافقة مدير الرقابة في وزارة الإعلام السورية في النسخة التي أخذتها من ابنة المؤلف العريق الذي عاش مائة وعام واحد، ومعرفتي لدار المؤلف وأبناء أخيه منذ الطفولة تشير إلى أن الكتاب في دمشق. عام النشر هو: ١٩٧٢ .
٢٢ – دروزة، محمد عزة، "القرآن والملحدون"، دار صعب، طبعة ثانية، ١٩٨٠.
٢٣ – الرازي، محمد بن أبي بكر، "تفسير الرازي – أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل"، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق ١٩٩٠ .

٢٤ - الراغب، د. عبد السلام أحمد، "وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم"، دار فُصِّلَتْ للدراسات والترجمة والنشر، حلب ٢٠٠١.

٢٥ - الزاوي، أحمد عمران، "الحقيقة الصعبة في الميزان"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥.

٢٦ - سعادة، أنطون "الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية"، بدون دار نشر، الطبعة الرابعة، بيروت.

٢٧ - شاحاك، إسرائيل، "الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - وطأة ٣٠٠٠ عام" شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٦م. تعريب رضى سلمان ومراجعة مريم بري.

٢٨ - الطاهر، سلوى مرسي، "أول سيرة في الإسلام - عروة بن الزبير بن العوام"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥ .

٢٩ - طبارة، عفيف عبد الفتاح، "روح الدين الإسلامي"، دار العلم للملايين، الطبعة ٣١، بيروت ١٩٩٩.

٣٠ - عبد الكريم، خليل، "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" ، دار ميريت للنشر والمعلومات، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠١.

٣١ - عبد الكريم، خليل، "قريش، من القبيلة إلى الدولة المركزية"، دار سينا للنشر - ومؤسسة الانتشار العربي بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٧.

٣٢ - عبد الكريم، خليل، " الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية"، سينا للنشر، القاهرة ودار الانتشار العربي، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٧.

٣٣ - علي، د. جواد، "المفصل في تاريخ العرب قبل إسلام"، دار العلم للملايين بيروت و مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٠.

٣٤ - الغزالي، محمد، "قذائف الحق"، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، بدون تاريخ.

٣٥ - فيروز آبادي، "القاموس المحيط"، مؤسسة الرسالة، طبعة اوفست، بيروت ١٩٨٦.

٣٦ – قطب، سيد، "في ظلال القرآن"، دار احياء التراث العربي، طبعة سابعة، بيروت ١٩٧١ .

٣٧ – القمني، سيد محمود، "إسرائيل،التوراة...التاريخ، التضليل."دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨.

٣٨ – كم نقش، محمد فايز، "نبي أم دعي" حوار طويل مع مستشرق، دار طلاس، دمشق عام ٢٠٠٠.

٣٩ – كنعان، جورجي، "الله هو القضية" دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى، آب ٢٠٠١ .

٤٠ – كنعان، جورجي، "والمسيح هو المشكلة" دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى، آب ٢٠٠١
١٩٩٤.

٤١ – مارتين، بيتر هانز، شومان، هارالد، "فخ العولمة"، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٥ ، أغسطس ٢٠٠٣، ترجمة د. عدنان عباس علي، الكويت.

٤٢ – محمد علي، محمد سامي، "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" دار المحبة، دمشق، بدون تاريخ للنشر.

٤٣ – المرّ ، الياس، "الإسلام بدعة نصرانية" (النسخة التي في ايدينا بدون دار نشر وبدون تاريخ. ولا ندري إن كان الإسم مستعاراً أم صحيحاً.

٤٤ – المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام، "السيرة النبوية"، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥.

٤٥ – النيهوم، الصادق، "الإسلام في الأسر" رياض الريس للكتب والنشر، طبعة ثالثة، دمشق ١٩٩٥.

٤٦ – هوفمان، مراد، "الطريق إلى مكة" دار الشروق، القاهرة، طبعة أولى١٩٩٨.

٤٧ – اليازجي، ندرة، "ردّ على التوراة" دار الغربال، دمشق، الطبعة الثالثة ١٩٨٧.

Armstrong, Karen, Muhammad, *Religionsstifter und Staatsmann* , Diederichs, Munchen, 1993

Bell, Richard, *Introduction to the Quran*, the Edinburgh University Press, 1953

Bucaille, Maurice, *Bibel, Kor an und Wissenschaft* Islamischer Verlag, SKD Bavaria Verlag & Handel GmbH, Muenchen 1994

El-Zayat, Farouk Mohamed, *Muetter der Glaubigen*, SKD Bavaria & Handels & Verlags GmbH, Munchen.

Hoffmann, Hadi Christian, *Islam und Luther*, Deutsch-Islamisches Institut für wissenschaftliche und Kulturelle Zusammenarbeit e.v., Celle, no date

Hunke, Sigrid, *Allah ist ganz anders*, SKD Bavaria Verlag & Handel GmbH, Muenchen 1999

Khourz, Adel Theodor *Der Koran , Arabisch- Deutsch*, Übersetzung und Kommentar, Gütersloh, Band 12

Lings, Martin, *Muhammad, his life based on the earliest sources* , George Allen & Unwin (publishers) ltd. Thd impression, 1984

Neuwirth, Angelika, *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren*, Walter de Gruzter Verlag, Berlin – New Zork, 1981

Rodinson, Maxime, *Mohammed* , C.J. Bucher, translated from French by: Guido Meister, Luzernd and Frankfurt, 1975

Schoeler, Gregor, *Charakter und Authentrie der muslimischen Ueberlieferung ueber das Leben Mohammeds*, Walter der Gruyter. Berlin. New York, 1996

Wuestenfeld, Ferdinand, Die *Chroniken der Stadt Mekka* Georg Olms,Verlag, Hildesheim und New York, 1981

محتويات الكتاب

ماذا يريد الشيخ خليل عبد الكريم؟

مؤلفات للدكتور سامي عصاصة

١ - **أسرار الانفصال** - عن الوحدة بين سوريا ومصر وأسباب فشلها.

٢ - **عربدة سياسية** - مقالات ناقدة في السياسة والاقتصاد.

٣ - **هل انتهت حرب الخليج؟** - دراسة حول التحضير الأميركي لهذه الحرب وتوريط دول المنطقة لمصلحة الولايات المتحدة الأميركية.

٤ - **وثائق حرب الخليج** - تسجيل حيّ وحرفيّ لما جرى في اجتماع القمة العاشر لجامعة الدول العربية حيث تمَّ إجهاض فرصة تفادي الحرب.

٥ - **العربدة الثانية** - مجموعة جديدة من المقالات الناقدة.

٦ - **هل اليهودية التلمودية دين؟** - دراسة لكتاب البروفسور إسرائيل شاحاك، ونقد موثق للديانة اليهودية التي تستند إلى التلمود.

٧ - ترجمة "**هل اليهودية التلمودية دين؟**" إلى الانكليزية ليستخدمَ هذا الكتاب كلُّ مواطنٍ عربي في بلاد الغربة للتعريف على جرائم إسرائيل وعنصريتها.

٨ - **القرآن ليس دعوة نصرانية** - تفنيد لادعاءات الحدّاد والحريري في كتابيّ: "القرآن دعوة نصرانية" للأب درة يوسف الحداد، و "قسّ ونبيّ" للأب جوزيف قزي.

٩ - " **رد على حاقد آخر على الإسلام - ماذا يريد الشيخ خليل عبد الكريم؟**" في هذا الكتاب يحاول المؤلف د. سامي عصاصة كشف الحقد الدفين للمؤلف خليل عبد الكريم على الإسلام، على حقدٍ متستر وراء كلام معسول في ظاهره سام في وقعه.